

تأليف

يوسف بن علي الطائي







تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة
تحقيق المقصود
شرح
حائية ابن أبي داود



الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م



هاتف: ٠٠٩٦٥٩٠٩٠٩٢١١ – ٠٠٩٦٥٥٥٩٥٧١٠٣

dar.alkhezanah@gmail.com

تطلب جميع كتبنا من:

دار ابن قتيبة – الكويت هاتف: ٠٠٩٦٥٩٧٦٩٨٧١٧

دار روائع الأثير – الرياض هاتف: ٠٠٩٦٦٥٠١٢٨٧٠١١

دار منار التوحيد – المدينة المنورة هاتف: ٠٠٩٦٦٥٠٢٢٤٧٢٣١

تحقيق المقصود

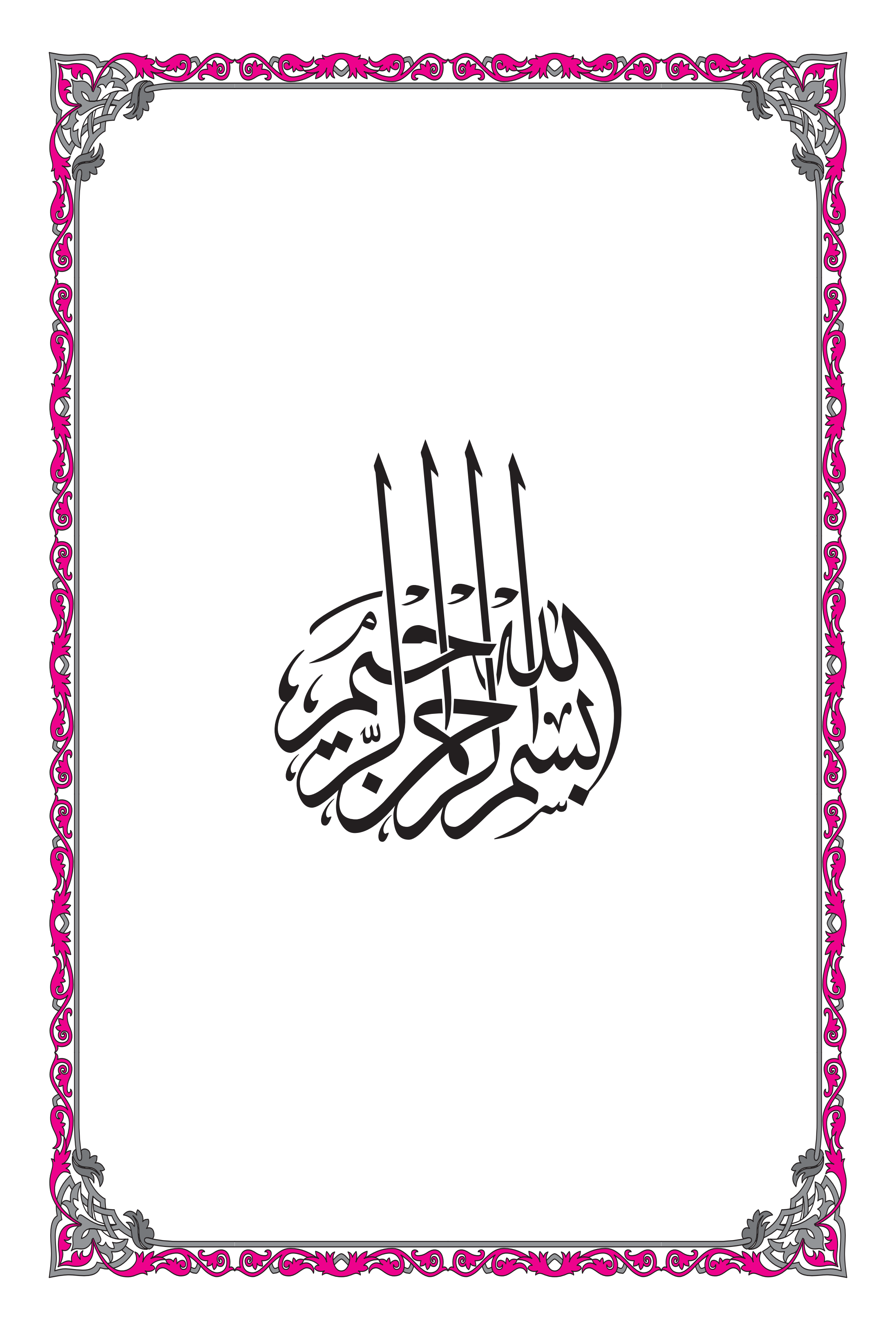
شرح

حائية ابن أبي داود

تأليف

يوسف بن علي الطائي




بسم الله الرحمن الرحيم

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن توفيق الرب عبده للمعتقد الصحيح علمًا وعملًا نعمة عظيمة لا تدانيها نعمة؛ إذ به انشراح الصدور، والتوصل إلى دار الأفراح والسرور، ومن هنا كان على العبد أن يجتهد في إدراك المعتقد الصحيح ما لا يجتهد في غيره، وهو في ذلك معتصمٌ بربه، سائله التوفيق والرشاد.

ولَمَّا كان للمعتقد الشأن العظيم، حرص العلماء قديمًا وحديثًا على بيان أصوله، ومسائله، فكتبوا في ذلك كتبًا مطولة، ومتوسطة، ومختصرة، ونظموا في ذلك المنظومات طلبًا لنشر المعتقد الصحيح، وحفظه بيسر وسهولة.

وإنَّ من المنظومات العقدية السلفية المنظومةَ الحائية للحافظ عبدالله ابن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وهي على اختصارها حوت الأصول المفيدة، والمسائل العديدة، ولعل هذا أحد أسباب اعتناء أهل العلم بها حفظًا، ودراسةً، وشرحًا في القديم والحديث، وهذا الذي بين يديك شرح لهذه (الحائية) كتبته مشاركةً في نشر المعتقد الصحيح، وطلبًا لتقريب معاني الحائية لدارسيها، وقد سميته: (تحقيق المقصود شرح حائية ابن أبي داود)، وجعلت بين يدي الشرح مقدمة تشتمل على ما يلي:

١- ترجمة مختصرة للناظم.

٢- مهمات تتعلق بالمنظومة.

٣- متن المنظومة.



أولًا: ترجمة مختصرة للناظم

اسمه ونسبه وكنيته:

هو العلامة الحافظ عبدالله بن أبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق أبو بكر السجستاني.

مولـــده:

وُلِد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ سنة ثلاثين ومائتين في سجستان.

طلبه العلم:

طلب ابن أبي داود العلم بهمة عالية منذ صغره، ولعل من أهم أسباب هذا بعد توفيق الله تعالى عناية والده به، قال ابن أبي يعلى: (رحل به والده من سجستان، فطوف به شرقًا وغربًا، وأسمعه من علماء ذلك الوقت، سمع بخراسان والجبال وأصبهان وفارس والبصرة وبغداد والكوفة والمدينة ومكة والشام ومصر والجزيرة والثغور)[١].

ومما يدل على علو همته قوله: (دخلت الكوفة ومعي درهم واحد، فأخذت به ثلاثين مد باقلا، فكنت آكل منه، وأكتب عن أبي سعيد الأشج، فما فرغ الباقلا حتى كتبت عنه ثلاثين ألف حديث، ما بين مقطوع ومرسل)[٢].

---

(١) طبقات الحنابلة (٢/ ٥١).

(٢) طبقات الحنابلة (٢/ ٥٢).

عقيدتـــه:

عقيدته بينتها حائيته التي بين فيها جملة من معتقد السلف، ولم يُنتقد عليه فيها شيء، ورضيها أهل السنة، فاعتنوا بها حفظًا، ودراسةً، وشرحًا.

وقد نُسب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ إلى النصب، وكان يبرئ نفسه من هذا، قال الخطيب البغدادي: (كان ابن أبي داود يتهم بالانحراف عن علي، والميل عليه، فأخبرني علي بن أبي علي، قال: حدثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق، قال: سمعت أبا بكر بن أبي داود غير مرة وهو يقول: «كل من بيني وبينه شيء، أو ذكرني بشيء -شك أبو الحسن- فهو في حل، إلا من رماني ببغض علي بن أبي طالب»)[١].

ويكفي في تبرئته من هذه التهمة قوله في (الحائية):

ورابِعُهُم خيرُ البريَّةِ بعــدَهُــمْ علِيٌّ حليفُ الخيرِ بالخيرِ مُنْجِــحُ

شيوخـــه:

روى ابن أبي داود عن خلق كثير، إليك بعضهم:

١- أبوه الحافظ سليمان بن الأشعث.

٢- عيسى بن حماد زُغْبَةَ.

٣- أحمد بن صالح.

٤- محمد بن يحيى الزماني.

٥- أبو الطاهر بن السرح.

---

(١) تاريخ بغداد (١١/ ١٣٦).

طلابـــه:

حدث عنه خلق كثير، إليك بعضهم:

١- ابن حبان.

٢- أبو أحمد الحاكم.

٣- أبو حفص بن شاهين.

٤- أبو الحسن الدارقطني.

٥- عيسى بن علي الوزير.

تصانيفـــه:

له تصانيف عديدة؛ لذا قال الذهبي في ترجمته: (صاحب التصانيف)، وإليك بعض تصانيفه:

١- السنن.

٢- المصاحف.

٣- شريعة المقارئ.

٤- الناسخ والمنسوخ.

٥- البعث.

ثناء العلماء عليه:

قال الحافظ أبو محمد الخلال: (كان ابن أبي داود إمام أهل العراق، ومن نصب له السلطان المنبر، وقد كان في وقته بالعراق مشايخ أسند منه، ولم يبلغوا في الآلة والإتقان ما بلغ هو)[١].

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٢٤).

وقال محمد بن عبدالله الشخير: (كان ابن أبي داود زاهدًا ناسكًا)[١].

وقال الذهبي: (كان من بحور العلم، بحيث إن بعضهم فضله على أبيه)[٢].

وفاته:

قال محمد بن عبدالله الشخير: (مات في ذي الحجة، سنة ست عشرة وثلاث مئة)[٣].

وقال: (صلى عليه يوم مات نحوٌ من ثلاث مئة ألف إنسان، وأكثر)[٤].



(١) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٣١).
(٢) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٢٣).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٣١).
(٤) المصدر السابق.

ثانيًا: مهمات تتعلق بالمنظومة

صحة نسبتها للمصنف:

قال الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (هذه القصيدة متواترة عن ناظمها)[١].

وممن رواها عنه من طلابه الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، فقد قال في (الشريعة): (أملى علينا أبو بكر بن أبي داود في مسجد الرصافة في يوم الجمعة لخمس بقين من شعبان سنة تسع وثلاثمائة، فقال تجاوز الله عنه:

تمسك بحبل الله واتبع الهدى...)[٢].

وكذالك أبو حفص بن شاهين، فقد ساقها الذهبي في (السير) من طريقه[٣].

وكذلك عبدالله الفقيه، وساقها من طريقه ابن أبي يعلى في (الطبقات)[٤].

عدد أبياتها:

عدد أبيات المنظومة برواية تلامذة المصنف السابق ذكرهم ثلاثة وثلاثون بيتًا.

---

(١) مختصر العلو (٢٢٩).
(٢) الشريعة (٥/ ٢٥٦٢).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٣٣).
(٤) طبقات الحنابلة (٢/ ٥٣).

وقد جاء ذكر هذه المنظومة في آخر كتاب (السنة)[1] لابن شاهين بزيادة سبعة أبيات، ويرى الشيخ عبدالرزاق البدر حفظه الله تعالى أن بعض النساخ ألحق المنظومة في آخر كتاب (السنة)، وليست هي من أصل الكتاب[2].

والأبيات السبعة المزيدة هي:

وسِبطا رسولِ اللهِ وابنا خديـجةَ	وفاطمـة ذات البقَـا تبَحْبَحـو
وعائش أم المؤمنين وخالنا	معاويـة أكـرِمْ بهِ ثـم أفصحوا
وأنصاره والهاجرون ديارهـم	بنصرِهم عن كيَّةِ النارِ زُحْزِحُوا
ومَن بَعدَهُم فالتابعون بحسن ما	حَذَو حَذوهم قولًا وفعلًا فأفلَحُوا
ومالكٌ والثوري ثم أخوهم	أبو عمرو الأوزاعي ذاك المسبِّحُ
ومن بعدهم فالشافعي وأحمد	إماما هدى من يتبع الحقَّ يفصح
أولئك قوم قد عفا الله عنهم	وأرضاهم فأحبب فإنك تفرح

وليست هذه الأبيات السبعة لابن أبي داود، ويدل على هذا ما يلي:

١- أن طلاب ابن أبي داود رووها عنه، ولم يزيدوا على ثلاثة وثلاثين بيتًا، ومنهم ابن شاهين نفسه، فقد رواها الذهبي من طريقه على هذا العدد، وهذا مما يؤكد ما ذكر الشيخ عبدالرزاق البدر من كون المنظومة ملحقة بآخر كتاب (السنة) من بعض النساخ، وليس إيرادها فيه من قبل ابن شاهين نفسه.

---

(١) شرح مذاهب أهل السنة (٣٢١).

(٢) التحفة السنية (١٢٠).

٢- أن ثلاثة أبيات من السبعة لابن البناء، كما بين السفاريني في قوله: (هذه الثلاثة أبيات، وأولها قوله: وعائش أم المؤمنين، وثانيها: وأنصاره والمهاجرون ديارهم، وثالثها: ومن بعدهم والتابعون... ليست من كلام الناظم الذي هو الإمام الحافظ أبو بكر بن أبي داود، بل من كلام العلامة المحقق ابن البناء من أئمة علمائنا)[(١)].

ولهذا لم أشرح هذه الأبيات السبعة.

اتفاق أهل العلم على المسائل التي اشتملت عليها المنظومة:

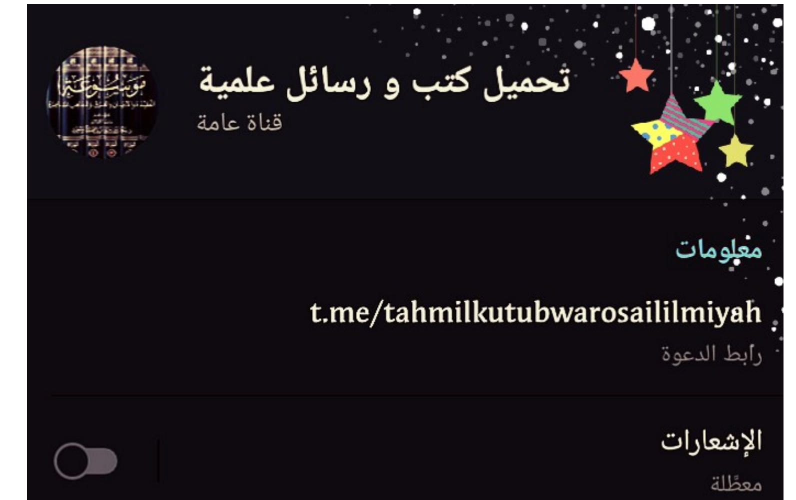
قال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في كتابه (الشريعة) بعد أن ذكر المنظومة الحائية: (قال لنا أبو بكر بن أبي داود: «هذا قولي، وقول أبي، وقول أحمد بن حنبل، وقول من أدركنا من أهل العلم، ومن لم ندرك ممن بلغنا عنه، فمن قال علي غير هذا فقد كذب»)[(٢)].

فنستفيد من هذا أن مسائل المنظومة كلها عليها اتفاق أهل العلم.



(١) لوائح الأنوار السنية (٢/ ١٠٥).

(٢) الشريعة (٥/ ٢٥٦٢).



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

ثالثًا: متن المنظومة (١)

تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ واتَّبِعِ الهُدى ... ولا تَكُ بِدْعيّاً لعلَّك تُفلِحُ

وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ والسُّنَنِ التي ... أتتْ عنْ رسولِ اللهِ تَنجُو وتربحُ

وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنا ... بِذَلِكَ دَانَ الأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا

ولا تكُ في القرآنِ بالوقفِ قائِلاً ... كما قال أتباعٌ لجهمٍ وأسجَحوا

ولا تقلِ القرآنُ خلقٌ قرأتُهُ ... فإنَّ كلامَ اللهِ باللَّفْظِ يوضَحُ

وقُلْ يتجلَّى اللهُ للخلقِ جهْرَةً ... كما البدرُ لا يخفَى وربُّك أوضحُ

وليس بمولودٍ وليس بوالدٍ ... وليس لهُ شِبْهٌ تعالى المُسَبَّحُ

وقد يُنْكِرُ الجهميُّ هذا وعندنا ... بمصداقِ ما قُلْنَا حديثٌ مصرِّحُ

رواهُ جريرٌ عن مقالِ محمدٍ ... فقلْ مثلَ ما قدْ قالَ في ذاكَ تَنْجَحُ

وَقَدْ يُنْكِرُ الجَهْمِيُّ أيْضًا يمينَهُ ... وكلْتا يديهِ بالفواضلِ تنْفَحُ

وقل ينزِلُ الجبارُ في كلِ ليلةٍ ... بلا كيفَ جلَّ الواحدُ المتمدِّحُ

إلى طبقِ الدُّنيا يمُنُّ بفضلهِ ... فتُفرجُ أبوابُ السماءِ وتُفْتَحُ

يقولُ ألا مُسْتَغْفِرٌ يلقَ غافرًا ... ومُسْتَمْنِحٌ خيرًا ورزْقًا فَيُمْنَحُ

روى ذاكَ قومٌ لا يُردُّ حديثُهُمْ ... ألا خابَ قومٌ كذَّبُوهُمْ وَقُبِّحُوا

وقلْ إنَّ خيرَ النَّاسِ بعدَ محمدٍ ... وزيراهُ قِدْمًا ثمَّ عثمانُ أرجَحُ

ورابِعُهُم خيرُ البريَّةِ بعدَهُمْ ... عليُّ حليفُ الخيرِ بالخيرِ مُنْجِحُ

---

(١) هو متنها كما في (سير أعلام النبلاء)، وقد اعتمدته؛ لاعتناء محققي (السير) به، بخلاف متنها عند الآجري في (الشريعة)، وأبي يعلى في (الطبقات)، وعند غيرهم ممن ذكرها، فإنه لم يلق الاعتناء اللائق، وثمة فروق بين النسخ، لم أعتن بذكرها.

وإنَّهُمُ والرَّهطُ لا ريبَ فيهمُ *** على نُجُبِ الفردوسِ بالنُّورِ تسرحُ

سعيدٌ وسعْدٌ وابنُ عوْفٍ وطلحةٌ *** وعامرُ فِهْرٍ والزُّبيرُ المُمَدَّحُ

وقُلْ خيرَ قولٍ في الصحابةِ كُلهِمْ *** ولا تكُ طعَّانًا تَعِيبُ وتجرَحُ

فقد نطقَ الوحيُ المبينُ بفضلِهِم *** وفي الفتحِ آيٌ للصَّحابَةِ تَمْدَحُ

وبالقدَرِ المقدورِ أيقنْ فإنهُ *** دِعامةُ عِقدِ الدينِ والدينُ أفيحُ

ولا تنكرنْ جهلًا نكيرًا ومنكرًا *** ولا الحوضَ والميزانَ إنكَ تُنْصَحُ

وقلْ يُخْرِجُ اللّهُ العظيمُ بفَضْلِهِ *** منَ النارِ أجْسادًا منَ الفحْمِ تُطْرَحُ

على النَّهْرِ في الفِرْدَوْسِ تحيا بمائهِ *** كَحِبِّ حميلِ السَّيْلِ إذْ جاءَ يطْفَحُ

وإن رسولَ اللّه للخلقِ شافعٌ *** وقل في عذابِ القبرِ حقٌ مُوَضَّحُ

ولا تُكْفِرَنْ أهلَ الصلاةِ وإنْ عَصَوا *** فكُلُّهُمُ يَعْصِي وذُو العرشِ يَصْفَحُ

ولا تَعْتَقِدْ رأيَ الخوارجِ إنَّهُ *** مقالٌ لِمَنْ يَهْواهُ يُرْدي ويَفْضَحُ

ولا تكُ مُرْجِيًّا لَعُوبًا بدينِه *** ألا إنَّما المُرْجِيُّ بالدينِ يمزحُ

وقل إنما الإيمانُ قولٌ ونيَّةٌ *** وفِعْلٌ على قولِ النَّبيِّ مُصَرَّحُ

ويَنْقصُ طوْرًا بالمعاصي وتارةً *** بطاعتهِ يَنمي وفي الوزنِ يَرْجَحُ

ودعْ عنْكَ آراءَ الرجالِ وقولَهم *** فقولُ رسولِ اللّه أولى وأشرحُ

ولا تكُ من قومٍ تلهَّو بدينهم *** فتطعنَ في أهلِ الحديثِ وتقدحُ

إذا ما اعتقدتَ الدهرَ يا صاحِ هذهِ *** فأنت على خيرٍ تبيتُ وتُصبِحُ



بداية الشـــرح

تَمَسَّك[١] بِحَبْلِ اللّهِ واتَّبِعِ الهُدى ولا تَكُ بِدْعيّاً لعلَّك تُفلِحُ

الكلام عليه من وجوه:

الوجه الأول: في شرح بعض ألفاظه:

(تمسك): اعتصم.

(حبل الله): شرع الله.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ [آل عمران:١٠٣]: (والاعتصام بحبله، أي: بشرعه، فحبل الله هو شرعه، وسمي شرعه حبلًا؛ لأنه موصل إليه، والحبل كما تعلمون يوصل إلى المقصود، فإن الإنسان إذا أراد أن يشرب من البئر أدلى الدلو بالحبل، بالرشاء[٢]، فحبل الله: هو شرعه الموصل إليه، كما يقال: حبل البئر هو: الرشاء الموصل إلى الماء؛ ليستقي منه الساقي، وأضيف إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ لأمرين:

الأمر الأول: أنه هو الذي وضعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

الأمر الثاني: أنه موصل إليه)[٣].

---

(١) قال السفاريني في (لوائح الأنوار السنية) (١/ ١٥٦): (اعلم أني في جميع الكتب التي وقفت عليها مما هذه القصيدة مذكورة فيها لم أر من صدرها بالبسملة، وذلك لأني إنما وقفت عليها في ترجمة ناظمها، وليس من عادة المترجمين ذكر البسملة في أول منظومات العلماء.
ويحتمل أن الناظم قدس الله روحه لم يأت بها في أول منظومته؛ لهضم نفسه بأن منظومته ليست من الأمور التي يهتم بها، ويحتفل بشأنها، فهي عنده ليست من أمر ذي بال، أو يكون ترك البسملة؛ لورود النهي عن الإتيان بها في الشعر، فقد جاء عن الشعبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ منع ذلك...).

(٢) قال في القاموس: (الرِّشاءُ، ككِساءٍ: الحَبْلُ).

(٣) التفسير الثمين (٣/ ٣٦٦).

(الهُدى): الرشاد.

(تك): أصله: تكونُ، فجزم بـ(لا)، وحَذَفَ الجازمُ ضمةَ النون، فالتقى ساكنان: الواو والنون، فحُذفَ الواو؛ لالتقاء الساكنين، وحُذفَ النون؛ لأن الفعل المضارع من (كان) يجوز حذف نونه إن جزم.

قال ابن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

ومِــنْ مـضـارعٍ لـكـان مُنْجزم   تُحْذفُ نونٌ وهْو حذْفٌ ما التُزِمْ

قال ابن عقيل: (ومذهب سيبويهِ، ومن تابعه أنَّ هذه النون لا تحذف عند ملاقاة ساكن، فلا تقول: «لم يكُ الرجل قائمًا» وأجاز ذلك يونس)[1].

و(تكن) في هذا البيت لم يله ساكن، فحذفُ النون منه جائز، حتى على شرط سيبويه.

(بدعيّاً): نسبة إلى البدعة، والبدعة في اللغة: ابتداء الشيء وصنعه، لا عن مثال سابق، والمراد بها في الشرع: (ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه)[2].

(لعلك): لعل حرف يفيد الترجي، (وهو: طلب المحبوب المُسْتَقْرَب حصولُه)[3].

(تفلح): فعل مضارع (من الفلاح، والفلاح يكون بمعنى: البقاء، يقال: أفلح بما شئت، أي: ابق بما شئت.

(١) شرح ابن عقيل (١/ ٢٧٨).
(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٢٧).
(٣) شرح قطر الندى (١٥٣).

وقد يكون بمعنى: الفوز والنجاة.

وأصل الفلاح: القطع والشق، ومنه سمي الزارعُ فلاحاً؛ لأنه يشق الأرض، وفي المثل: «الحديدُ بالحديدِ يُفْلَح» أي: يشق. قال الشاعر:

قد علمتَ يا بنَ أمِ صَحْصَح أن الحديدَ بالحديدِ يُفلح

أي: يُشق)[١].

و(تفلح) في كلام المصنف، بمعنى: تفوز، وتنجو.

الوجه الثاني: في معنى البيت:

ينصح المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في هذا البيت بالاعتصام بشرع الله تعالى، والاهتداء به، ومجانبة البدع، فإن من كانت هذه حاله يرجى له الفلاح، والفوز، والنجاة.

وهذا الذي أوصى به منتزع من قوله تعالى: ﴿ **وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ** ﴾ [آل عمران:١٠٣]، إذ في هذه الآية أمر بالاعتصام بشرعه، ونهي عن التفرق، ولا شك أن هذا يستلزم اجتناب البدع كلها؛ إذ هي سبب رئيس في الاختلاف والفُرقة، ومن قوله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرَّقوا**[٢]**، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**»[٣].

---

(١) تفسير السمعاني (١/ ٤٥).

(٢) قال النووي في (المنهاج) (١٢/ ٢٣٧): (اعلم أن الثلاثة المرضية: إحداها أن يعبدوه، الثانية أن لا يشركوا به شيئًا، الثالثة أن يعتصموا بحبل الله ولا يتفرقوا).

(٣) رواه مسلم (١٧١٥).

الوجه الثالث: في مسائل تتعلق ببعض ألفاظ البيت:

أولًا: في قوله: (الهدى).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (أنواع الهداية أربعة:

أحدها: الهداية العامة المشتركة بين الخلق المذكورة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:٥٠] أي: أعطى كل شيء صورته التي لا يشتبه فيها بغيره، وأعطى كل عضو شكله وهيئته، وأعطى كل موجود خلقه المختص به، ثم هداه لما خلقه له من الأعمال.

النوع الثاني: هداية البيان والدلالة والتعريف لنجدي الخير والشر، وطريقي النجاة والهلاك، وهذه الهداية لا تستلزم الهدى التام، فإنها سبب وشرط لا موجِب، ولهذا ينتفي الهدى معها، كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ [فصلت:١٧] أي: بينا لهم وأرشدناهم ودللناهم فلم يهتدوا، ومنها قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى:٥٢].

النوع الثالث: هداية التوفيق والإلهام، وهي الهداية المستلزمة للاهتداء، فلا يتخلف عنها، وهي المذكورة في قوله: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِى مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر:٨]، وفي قوله: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِى مَن يُضِلُّ﴾ [النحل:٣٧]، وفي قول النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له**»، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِى مَنۡ أَحۡبَبۡتَ﴾ [القصص:٥٦]، فنفى

عنه هذه الهداية، وأثبت له هداية الدعوة والبيان في قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ [الشورى:٥٢].

النوع الرابع: غاية هذه الهداية، وهي الهداية إلى الجنة والنار إذا سيق أهلهما إليهما، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [يونس:٩]، وقال أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعراف:٤٣]، وقال تعالى عن أهل النار: ﴿ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٢٢-٢٣])[١].

ثم إن كلًا من هداية البيان والدلالة، وهداية التوفيق والإلهام تنقسم إلى قسمين:

الأول: هداية مجملة.

الثاني: هداية مفصلة.

وبيان المراد بهما في كلام ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ التالي.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (فإن الهداية نوعان: هداية مجملة، وهي: الهداية للإسلام والإيمان، وهي حاصلة للمؤمن، وهداية مفصلة، وهي: هدايته إلى معرفة تفاصيل أجزاء الإيمان والإسلام، وإعانته على فعل ذلك، وهذا يحتاج إليه كل مؤمن ليلًا ونهارًا، ولهذا أمر الله عباده أن يقرؤوا في كل ركعة من صلاتهم

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٤٤٥-٤٤٨).

قوله: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة:٦]، وكان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في دعائه بالليل: «**اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**»، ولهذا يشمت العاطس فيقال: يرحمك الله، فيقول: يهديكم الله، كما جاءت السنة بذلك، وإن أنكره من أنكره من فقهاء العراق ظنًا منهم أن المسلم لا يحتاج أن يدعى له بالهدى، وخالفهم جمهور العلماء اتباعًا للسنة في ذلك)(١).

وعليه فإن من علَّم كافرًا أصول الإسلام والإيمان فقد هداه إلى الإسلام والإيمان على سبيل الإجمال، فإن وُفِّقَ، وعمِل بما علِم، وأسلم فقد حصلت له هدايةُ التوفيق المجملة، ثم إن علَّمه بعد ذلك تفاصيل أجزاء الإسلام والإيمان، فقد هداه إليهما على سبيل التفصيل، فإن وُفِّق للعمل بها حصلت له هداية التوفيق المفصلة.

ثانيًا: في قوله: (بدعيًا).

قد ذكرت قبلُ تعريف البدعة لغة، وشرعًا، وسأذكر هنا المزيد حول البدعة من خلال ما يلي:

(أ) في ذكر بعض النصوص في ذم البدع، وبعض ما يستفاد منها.

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى:٢١].

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٠).

قال الطبري: (يقول ابتدعوا لهم من الدين ما لم يُبِحِ الله لهم ابتداعه)[(١)].

وهذا استفهام إنكاري، يفيد ذم الابتداع في الدين، وأنه عظيم القبح.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»[(٢)].

(أمرنا) أي: ديننا وشريعتنا.

قال الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (أي: من أحدث في الإسلام ما ليس من الإسلام في شيء، ولم يشهد له أصل من أصوله فهو مردود، ولا يلتفت إليه، وهذا الحديث قاعدة من قواعد الدين الجليلة، فينبغي حفظه وإشهاره في إبطال المحدثات والبدع)[(٣)].

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (في أمرنا) يفيد أن الإحداث المذموم هو الإحداث في الدين، وعليه فإن المحدثات الدنيوية والصناعية غير مشمولة بالذم.

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى: (وأما الأمور المبتدعة في غير الدين، كصناعة الطائرات والسيارات والمراكب البحرية فهذه أمور

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ٤٩٢)، وقد بين أن البدع تدخل تحت هذه الآية عدد من أهل العلم، منهم ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فقد قال في (جامع العلوم والحكم) (١/ ١٧٦): (فأما العبادات فما كان منها خارجًا عن حكم الله ورسوله بالكلية فهو مردود على عامله، وعامله يدخل تحت قوله: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى:٢١]).

(٢) رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨).

(٣) قاموس البدع (١٢٠).

مباحة، وليست من الابتداع في دين الله تعالى، والله جَلَّوَعَلَا يقول: ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ** ﴾ [الجاثية:١٣]، لأجل منافعكم ومصالحكم، فهذه لا تدخل في العبادات، لكن قد يستعان بها لأداء العبادة، فنركب السيارة للحج، أو لصلة الرحم، أو تحصيل المباحات، وهذه كلها من منافع السماوات والأرض التي أباحها الله لنا، فليست بدعة؛ لأنها ليست من الدين، بل هي من العادات والمباحات، فلا نسميها بدعة، إلا إن كان من ناحية اللغة؛ لأنها شيء جديد، ولكونها ظهرت في وقت، ولم تظهر فيما قبله)[(١)].

ومما جاء في ذم البدع أيضًا ما أخرج مسلم عن جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: (كان رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذا خطب احمرَّت عيناه، وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنَّه منذر جيش، يقول: صبَّحكم ومسَّاكم، ويقول: «**بعثتُ أنا والساعةُ كهاتين**»، ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى، ويقول: «**أما بعدُ، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهُدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**»)[(٢)].

قال ابن رجب رَحِمَهُٱللَّهُتَعَالَىٰ: (فقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**كل بدعة ضلالة**» من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء، وهو أصل عظيم من أصول الدين، وهو شبيه بقوله: «**من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد**»، فكل من أحدث شيئًا، ونسبه إلى الدين، ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه فهو ضلالة، والدين

---

(١) شرح المنظومة الحائية (٥٥).

(٢) رواه مسلم (٨٦٧).

بريء منه، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات، أو الأعمال، أو الأقوال الظاهرة والباطنة)[(١)].

والعموم في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**كل بدعة ضلالة**) من أقوى ما يُبطل به تقسيم بعضهم البدعة إلى بدعة سيئة وبدعة حسنة، قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (جميع البدع ضلالة ليس فيها هدى، بل هي شر محض وإن استحسنها من ابتدعها فإنها ليست حسنة لقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كل بدعة ضلالة**» ولم يستثن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا.

وبناءً على هذا يتبين خطأ من قسَّم البدع إلى خمسة أقسام أو إلى ثلاثة أقسام، وأنه ليس على صواب؛ لأننا نعلم علم اليقين أنَّ أعلم الناس بشريعة الله رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنَّ أنصح الخلق لعباد الله رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنَّ أفصح الخلق نطقًا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنَّ أصدق الخلق خبرًا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أربعة أوصاف كلها مجتمعة على الأكمل في قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم يأتي مَنْ بعده، ويقول: البدعة ليست ضلالة، بل هي أقسام: حسنة، ومباحة، ومكروهة، ومحرمة، وواجبة.

سبحان الله العظيم، لولا إحسان الظن بهؤلاء العلماء لكانت المسألة كبيرة أن يقسموا ما حكم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه ضلالة إلى أقسام: حسن، وقبيح)[(٢)].

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٢٨).

(٢) شرح الأربعين النووية (٣١١).

(ب) في ذكر أمور ستة لا بد من مراعاتها في العبادة، وإلا كانت بدعة.

هذه الأمور الستة ذكرت مفرقة في كتب أهل العلم، وقد جمعها العلامة محمد بن صالح العثيمين في مواضع من كتبه، وإليك كلامه مختصرًا من (شرح الأربعين النووية)، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (وليعلم أن المتابعة لا تتحقق إلا إذا كان العمل موافقًا للشريعة في أمور ستة: سببه، وجنسه، وقدره، وكيفيته، وزمانه، ومكانه.

فإذا لم يوافق الشريعة في هذه الأمور الستة فهو باطل مردود؛ لأنه إحداث في دين الله ما ليس منه.

أولًا: أن يكون العمل موافقًا للشريعة في سببه: وذلك بأن يفعل الإنسان عبادة لسبب لم يجعله الله تعالى سببًا، مثل: أن يصلي ركعتين كلما دخل بيته ويتخذها سنة، فهذا مردود، مع أن الصلاة أصلها مشروع، لكن لما قرنها بسبب لم يكن سببًا شرعيًا صارت مردودة.

ثانيًا: أن يكون العمل موافقًا للشريعة في الجنس: فلو تعبد لله بعبادة لم يشرع جنسها فهي غير مقبولة، مثال ذلك: لو أنَّ أحدًا ضحى بفرس فإن ذلك مردود عليه، ولا يقبل منه؛ لأنَّه مخالف للشريعة في الجنس؛ إذ الأضاحي تكون من بهيمة الأنعام، وهي: الإبل، والبقر، والغنم.

ثالثًا: أن يكون العمل موافقًا للشريعة في القدر: فلو تعبد شخص لله عَزَّوَجَلَّ بقدر زائد على الشريعة لم يقبل منه، ومثال ذلك: رجل توضأ أربع

مرات، أي: غسل كل عضو أربع مرات، فالرابعة لا تقبل؛ لأنَّها زائدة على ما جاءت به الشريعة.

رابعًا: أن يكون العمل موافقًا للشريعة في الكيفية: فلو عمل شخص عملًا يتعبد به لله، وخالف الشريعة في كيفيته لم يقبل منه، وعمله مردود عليه.

ومثاله: لو أنَّ رجلًا صلى وسجد قبل أن يركع فصلاته باطلة مردودة؛ لأنَّها لم توافق الشريعة في الكيفية.

خامسًا: أن يكون العمل موافقًا للشريعة في الزمان: فلو صلى الصلاة قبل دخول وقتها، فالصلاة غير مقبولة؛ لأنَّها في زمن غير ما حدده الشرع.

سادسًا: أن يكون العمل موافقًا للشريعة في المكان: فلو أنَّ أحدًا اعتكف في غير المساجد بأن يكون اعتكف في المدرسة أو في البيت، فإنَّ اعتكافه لا يصح؛ لأنَّه لم يوافق الشرع في مكان الاعتكاف)[١].

(جـ) البدع تنقسم إلى اعتقادية وعملية وقولية.

تنقسم البدع إلى أقسام متعددة باعتبارات مختلفة، ومن ذلك انقسامها إلى اعتقادية وقولية وعملية.

فمن أمثلة البدع الاعتقادية: القول بخلق القرآن، والجبر، ونفي أسماء الله وصفاته...إلخ.

---

(١) شرح الأربعين النووية (١١٥-١١٨).

ومن أمثلة البدع القولية: التلفظ بالنية[١]، وختم تلاوة القرآن بقول: صدق الله العظيم[٢]...إلخ.

ومن أمثلة البدع العملية: تخصيص يومي العيد بزيارة القبور[٣]، وصلاة الرغائب[٤]...إلخ.

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في (مجموع الفتاوى) (٢٢/ ٢٣١): (التلفظ بالنية نقص في العقل والدين، أما في الدين فلأنه بدعة، وأما في العقل فلأنه بمنزلة من يريد أن يأكل طعاما، فيقول: نويت بوضع يدي في هذا الإناء أني أريد أن آخذ منه لقمة، فأضعها في فمي، فأمضغها ثم أبلعها لأشبع).

(٢) قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في (فتاوى نور على الدرب) (٢/ ١٨٢): (ختم تلاوة القرآن بقول: صدق الله العظيم بدعة. وذلك؛ لأنه لم يرد عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا عن أصحابه أنهم كانوا يختمون قراءتهم بقول: صدق الله العظيم. وقد ثبت عن النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أنه قال: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**». وعلى هذا فينبغي للقارئ إذا انتهى من قراءته أن ينهيها بآخر آية يتلوها، بدون أن يضيف إليها شيئًا).

(٣) قال ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في (فتاوى نور على الدرب) (١٤/ ٤٤٤): (أما قصد القبور في أيام الأعياد فلا أعلم له أصلًا، زيارة القبور سنة، وليس لها حد محدود، ولا وقت معين، بل يزورها ليلًا ونهارًا في العيد وفي غيره، ما لها وقت محدود، أما تخصيص زيارة لأيام العيد، أو بيوم معين فليس له أصل)، وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في (فتاوى نور على الدرب) (٦/ ٢٢٤): (تخصيص أيام العيد لزيارة المقبرة أمر بدعي لم يكن من هدي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا أصحابه).

(٤) قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في (المجموع) (٤/ ٥٦): (الصلاة المعروفة بصلاة الرغائب، وهي ثنتي عشرة ركعة تصلى بين المغرب والعشاء ليلة أول جمعة في رجب، وصلاة ليلة نصف شعبان مائة ركعة، وهاتان الصلاتان بدعتان، ومنكران قبيحتان، ولا يغتر بذكرهما في كتاب «قوت القلوب»، و«إحياء علوم الدين»، ولا بالحديث المذكور فيهما، فإن كل ذلك باطل، ولا يغتر ببعض من اشتبه عليه حكمهما من الأئمة، فصنف ورقات في استحبابهما، فإنه غالط في ذلك، وقد صنف =



=الشيخ الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن اسمعيل المقدسي كتابا نفيسا في إبطالها، فأحسن فيه وأجاد رَحِمَهُ ٱللَّهُ).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في (الفتاوى المصرية) (١/ ١٤٤): (هذه الصلاة لم يصلها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا أحد من أصحابه، ولا التابعين، ولا أئمة المسلمين، ولا رغب فيها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا أحد من السلف، ولا الأئمة، ولا ذكروا لهذه الليلة فضيلة تخصها، والحديث المروي في ذلك عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بذلك، ولهذا قال المحققون إنها مكروهة غير مستحبة، والله أعلم).



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ والسُّنَنِ التي　　أتتْ عنْ رسولِ الله تَنجُو وتربحُ

الكلام عليه من وجهين:

✍ الوجه الأول: في شرح بعض ألفاظه:

(دن): تعبَّد.

(السنن): أحاديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

✍ الوجه الثاني: في بيان معنى البيت:

بعد أن وصَّى المصنف في البيت السابق بالاعتصام بحبل الله بين في هذا البيت أن ذلك إنما يكون بالتعبد بها في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن بهذا التعبد تكون النجاة في الدنيا من الشهوات والشبهات، ويكون الربح والفوز في الآخرة بجنة عرضها الأرض والسماوات.





تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا ... بِذَلِكَ دَانَ الأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا

الكلام عليه من ثلاثة أوجه:

الأول: في شرح بعض ألفاظه:

(مليكنا): مالكنا رب العالمين جل ثناؤه.

(دان): تعبد.

(الأتقياء): جمع تقي، وقد عرَّف طلق بن حبيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ التقوى بأنها: (العمل بطاعة الله على نور من الله رجاء رحمة الله، وترك معاصي الله على نور من الله مخافة عذاب الله)[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (وهذا أحسن ما قيل في حد التقوى، فان كل عمل لابد له من مبدأ وغاية، فلا يكون العمل طاعة وقربة حتى يكون مصدره عن الإيمان، فيكون الباعث عليه هو الإيمان المحض، لا العادة ولا الهوى ولا طلب المحمدة والجاه وغير ذلك، بل لابد أن يكون مبدؤه محض الإيمان، وغايته ثواب الله وابتغاء مرضاته، وهو الاحتساب.

ولهذا كثيرًا ما يُقرَن بين هذين الأصلين في مثل قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا»**، و**«من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا»**، ونظائره.

فقوله: «على نور من الله» إشارة إلى الأصل الأول، وهو الإيمان الذي هو مصدر العمل، والسبب الباعث عليه.

(١) الزهد الكبير للبيهقي (٣٥١).

وقوله: «ترجو ثواب الله» إشارة إلى الأصل الثاني، وهو الاحتساب، وهو الغاية التي لأجلها يُوقَعُ العمل)[١].

(أفصحوا): تكلموا وبينوا.

الوجه الثاني: في بيان معنى البيت.

ينصح المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في هذا البيت باعتقاد ما دان به الأتقياء وبينوه وهو أن كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ صفة من صفاته غير مخلوق.

الوجه الثالث: في قوله: (غير مخلوق).

يدخل تحت قول المصنف هذا مسألتان، الثانية منهما فرع عن الأولى:

المسألة الأولى: من معتقد أهل السنة والجماعة أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتكلم بحرف وصوت مسموع، وأن كلامه غير مخلوق.

وإليك الأدلة على هذا المعتقد:

أولًا: في ذكر بعض الأدلة على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يتكلم بحرف وصوت مسموع:

١- قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:٨٧].

٢- قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء:١٢٢].

(وإثبات الكلام في هاتين الآيتين يؤخذ من قوله: ﴿أَصْدَقُ﴾؛ لأن الصدق يوصف به الكلام، وقوله: ﴿حَدِيثًا﴾ لأن الحديث هو الكلام، ومن قوله في الآية الثانية: ﴿قِيلًا﴾ يعني: قولًا، والقول لا يكون إلا باللفظ)[٢].

---

(١) الرسالة التبوكية (٩-١٠).

(٢) شرح الواسطية للشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ (١/ ٤١٨).

٣- قول الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:١٦٤].

فـ(﴿ٱللَّهُ﴾): فاعل، فالكلام واقع منه.

﴿تَكۡلِيمٗا﴾: مصدر مؤكد، والمصدر المؤكِّد -بكسر الكاف-، قال العلماء: إنه ينفي احتمال المجاز، فدل على أنه كلام حقيقي؛ لأن المصدر المؤكِّد ينفي احتمال المجاز.

أرأيت لو قلت: جاء زيد. فيفهم أنه جاء هو نفسه، ويحتمل أن يكون المعنى جاء خبر زيد، وإن كان خلاف الظاهر، لكن إذا أكدت فقلت: جاء زيد نفسه انتفى احتمال المجاز.

فكلام الله عَزَّوَجَلَّ لموسى كلام حقيقي، بحرف وصوت سمعه، ولهذا جرت بينهما محاورة؛ كما في سورة طه وغيرها)[١].

٤- قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**ما منكم من أحدٍ إلا سيكلِّمه اللهُ ليسَ بينَهُ وبينَهُ ترجمان**»[٢].

فهذا يدل على إثبات الكلام له سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ، وأنه بحرف وصوت مسموع مفهوم، بحيث لا يحتاج المُكلَّم إلى ترجمان يبين له مراد الله سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ بكلامه.

ثانيًا: في ذكر بعض الأدلة على أن كلامه سُبۡحَانَهُوَتَعَالَىٰ غير مخلوق.

١- قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾ [الأعراف:٥٤].

---

(١) المصدر السابق (١/ ٤٢١) بتصرف.

(٢) رواه البخاري (٦٥٣٩)، ومسلم (١٠١٦).

وأمره سبحانه هو قوله، وقد عطفه على الخلق، فأفاد أنه غير مخلوق، إذ العطف يقتضي المغايرة، قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (فلما قال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ﴾ لم يبقَ شيء مخلوق إلا كان داخلًا في ذلك، ثم ذكر ما ليس بخلق، فقال: ﴿وَٱلْأَمْرُ﴾ فأمره هو قوله، تبارك رب العالمين أن يكون قوله خلقًا)(١).

٢- أن كلام الله صفة من صفاته، وصفات الخالق غير مخلوقة، قال أحمد بن الحسن الترمذي: (قلت لأحمد بن حنبل: إن الناس قد وقعوا في القرآن، فكيف أقول؟ فقال: أليس أنت مخلوقًا؟ قلت: نعم. قال: فكلامك منك مخلوق؟ قلت: نعم. قال: أفليس القرآن من كلام الله؟ قلت: نعم. قال: وكلام الله من الله؟ قلت: نعم. قال: فيكون من الله شيء مخلوق؟!)(٢).

وقد ضلَّت المعتقد الصحيحَ في كلام الله تعالى فرق كثيرة، من أشهرها: الجهمية، والمعتزلة، والأشاعرة.

فالجهمية والمعتزلة قالوا: إن كلامه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مخلوق، خلقه في غيره(٣)، ولهم فيما زعموه في كلام الله تعالى شُبَهٌ بيَّن علماءُ السنة زيفها وبطلانها، ومن

(١) الرد على الجهمية (١٠٦).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٢٩١).

(٣) اتفق المعتزلة والجهمية على أن كلام الله مخلوق خلقه في غيره، ولكن اختلفوا هل يقال: الله يتكلم أم لا؟ فالجهمية يقولون لا يتكلم، وخلق الكلام في غيره، والمعتزلة يقولون: يتكلم حقيقة، ولكن معنى ذلك أنه خلق الكلام في غيره، استفدت هذا من كلام شيخ الإسلام، إذ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ كما في (مجموع الرسائل والمسائل) (٣/ ٢٧): (وكان أول من ابتدع الأقوال الجهمية المحضة النفاة الذين لا يثبتون الأسماء والصفات، فكانوا يقولون أولًا: إن الله تعالى لا يتكلم بل خلق كلامًا في غيره وجعل غيره يعبر عنه...، فإذا تلي عليهم ما أخبر الله تعالى به عن نفسه من أنه يقول ويتكلم. قالوا: هذا مجاز...، ثم إن المعتزلة الذين اتبعوا عمرو بن عبيد على قوله في القدر والوعيد دخلوا =

تلك الشبه: أنهم زعموا أن إثبات الكلام صفةً لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يلزم منه إثبات الجوف والفم والشفتين لله عَزَّوَجَلَّ، وقد أبطل الإمام الهمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ هذه الشبهة بكلام نفيس، أسوقه بلفظه، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (وأما قولهم: إن الكلام لا يكون إلا من جوف وفم وشفتين ولسان وأدوات.

أليس الله قال للسموات والأرض: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت:١١].

تراها أنها قالت بجوف وفم وشفتين ولسان وأدوات؟!

وقال: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ [الأنبياء:٧٩].

أتراها سبحت بجوف وفم ولسان وشفتين؟!

والجوارح إذ شهدت على الكفار، فقالوا: ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فصلت:٢١].

أتراها أنها نطقت بجوف وفم ولسان؟!

ولكن الله أنطقها كيف شاء.

وكذلك الله تكلم كيف شاء من غير أن يقول بجوف ولا فم ولا شفتين ولا لسان)[١].

=في مذهب جهم، فأثبتوا أسماء الله تعالى ولم يثبتوا صفاته، وقالوا نقول إن الله متكلم حقيقة، وقد يذكرون إجماع المسلمين على أن الله متكلم حقيقة؛ لئلا يضاف إليهم أنهم يقولون أنه غير متكلم، لكن معنى كونه سبحانه متكلمًا عندهم أنه خلق الكلام في غيره، فمذهبهم ومذهب الجهمية في المعنى سواء، لكن هؤلاء يقولون هو متكلم حقيقة وأولئك ينفون أن يكون متكلمًا حقيقة، وحقيقة قول الطائفتين أنه غير متكلم).

(١) الرد على الزنادقة والجهمية (٢٦٨-٢٦٩).

ومن شبههم أيضًا أنهم يزعمون أن الله تعالى خلق الكلام في الشجرة؛ لقوله تعالى: ﴿نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

قال ابن أبي العز الحنفي مجيبًا عن هذه الشبهة: (وما أفسد استدلالهم بقوله تعالى: ﴿نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾. على أن الكلام خلقه الله تعالى في الشجرة، فسمعه موسى منها، وعموا عمَّا قبل هذه الكلمة وما بعدها، فإن الله تعالى قال: ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾، والنداء: هو الكلام من بعد، فسمع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ النداء من حافة الوادي، ثم قال: ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ أي: أن النداء كان في البقعة المباركة من عند الشجرة، كما يقول سمعت كلام زيد من البيت، يكون من البيت لابتداء الغاية، لا أن البيت هو المتكلم، ولو كان الكلام مخلوقا في الشجرة، لكانت الشجرة هي القائلة: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، وَهَلْ قَالَ: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ غير رب العالمين؟!)[1].

وأما الأشاعرة فكلام الله تعالى عندهم نفسي، إذ قالوا: إن المراد بكلامه تعالى المعنى القائم بذاته، دون اللفظ، وهو ملازم لذاته كلزوم الحياة والعلم، فلا يتعلق بمشيئته، والحروف والأصوات عبارة عنه خلقها الله؛ لتدل على ذلك المعنى القائم بذاته.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١٧٤).

وسبب نفيهم الحرف والصوت عن كلام الله تعالى هو اعتقادهم أنه يلزم من ذلك التشبيه والتجسيم، لأنه لابد له حينئذ من لسان وشفتين وغيرهما، وقد ذكرت لك قبلُ جواب الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عن هذه الشبهة.

وهذه المقالة، وهي أن الكلام يراد به المعنى دون اللفظ أول من أحدثها عبدالله بن سعيد بن كُلَّاب، وتبعه عليها أبو الحسن الأشعري وغيره، وقد بين شيخ الإسلام أن هذا القول لم يسبقهم إليه أحد من المسلمين، ولا من غيرهم حيث قال: (وفي الجملة: حيث ذكر الله في كتابه عن أحد من الخلق من الأنبياء أو أتباعهم أو مكذبيهم أنهم قالوا ويقولون، وذلك قولهم، وأمثال ذلك، فإنما يعني به المعنى مع اللفظ، فهذا اللفظ وما تصرف منه من فعل ماض ومضارع وأمر ومصدر واسم فاعل من لفظ القول والكلام ونحوهما إنما يعرف في القرآن والسنة وسائر كلام العرب إذا كان لفظًا ومعنى، وكذلك أنواعه كالتصديق والتكذيب والأمر والنهي وغير ذلك، وهذا مما لا يمكن أحدًا جحده فإنه أكثر من أن يحصى، ولم يكن في مسمى «الكلام» نزاع بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وتابعيهم، لا من أهل السنة، ولا من أهل البدعة، بل أول من عرف في الإسلام أنه جعل مسمى الكلام المعنى فقط هو عبد الله بن سعيد بن كُلَّاب، وهو متأخر في زمن محنة أحمد بن حنبل، وقد أنكر ذلك عليه علماء السنة وعلماء البدعة، فيمتنع أن يكون الكلام الذي هو أظهر صفات بني آدم،كما قال تعالى: ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات:٢٣]. ولفظه لا تحصى وجوهه كثرة لم يعرفه أحد من

الصحابة والتابعين وتابعيهم حتى جاء من قال فيه قولًا لم يسبقه إليه أحد من المسلمين ولا غيرهم)[(١)].

وإليك شبهتين من شبه الأشاعرة في إثبات الكلام النفسي مع جواب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عليهما:

الأولى: استدلوا بقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ﴾ [المجادلة:٨].

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (وأجاب عنها أصحابنا وغيرهم بجوابين:

أحدهما: أنهم قالوا بألسنتهم قولاً خفيًا.

والثاني: أنه قيده بالنفس، وإذا قيد القول بالنفس فإن دلالة المقيد خلافُ دلالة المطلق، وهذا كقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به**»، فقوله: «**حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به**» دليل على أن حديث النفس ليس هو الكلام المطلق، وأنه ليس باللسان)[(٢)].

الثانية: استدلوا بقول الأخطل:

إنَّ الكلامَ لفي الفُؤادِ وإنَّما ... جُعِلَ اللسانُ على الفُؤادِ دليلا

وقد أجاب شيخ الإسلام أيضًا عن هذه الشبهة، فقال: (فمن الناس من أنكر أن يكون هذا من شعره، وقالوا: إنهم فتشوا دواوينه فلم يجدوه، وهذا يروى عن محمد بن الخشاب، وقال بعضهم: لفظه: إنَّ البيان لفي الفؤاد.

---

(١) الإيمان الكبير (١/ ٢١٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/ ٣٥).

ولو احتج محتج في مسألة بحديث أخرجاه في «الصحيحين» عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقالوا: هذا خبر واحد. ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول.

وهذا البيت لم يثبت نقله عن قائله بإسناد صحيح، لا واحد، ولا أكثر من واحد، ولا تلقاه أهل العربية بالقبول، فكيف يُثبت به أدنى شيء من اللغة؟! فضلا عن مسمى الكلام.

ثم يقال: مسمى الكلام والقول ونحوهما ليس هو مما يحتاج فيه إلى قول شاعر، فإن هذا مما تكلم به الأولون والآخرون من أهل اللغة، وعرفوا معناه في لغتهم كما عرفوا مسمى الرأس واليد والرجل.

وأيضًا فالناطقون باللغة يُحتج باستعمالهم للألفاظ في معانيها، لا بما يذكرونه من الحدود، فإن أهل اللغة الناطقين لا يقول أحد منهم: إن الرأس كذا، واليد كذا، والكلام كذا، واللون كذا، بل ينطقون بهذه الألفاظ دالة على معانيها، فتعرف لغتهم من استعمالهم.

فعلم أن الأخطل لم يرد بهذا أن يذكر مسمى «الكلام»، ولا أحد من الشعراء يقصد ذلك البتة، وإنما أراد إن كان قال ذلك ما فسره به المفسرون للشعر، أي: أصل الكلام من الفؤاد، وهو المعنى، فإذا قال الإنسان بلسانه ما ليس في قلبه فلا تثق به، وهذا كالأقوال التي ذكرها الله عن المنافقين ذكر أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ولهذا قال:

لَا يُعْجِبَنَّكَ مِنْ أَثِيرٍ لَفْظُهُ ... حَتَّى يَكُونَ مَعَ الْكَلَامِ أَصِيلَا

إِنَّ الْـكَـلَامَ لَـفِـي الْـفُـؤَادِ وَإِنَّمَـا جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلا

نهاه أن يعجب بقوله الظاهر حتى يعلم ما في قلبه من الأصل، ولهذا قال: حتى يكون مع الكلام أصيلًا.

وقوله: «مع الكلام» دليل على أن اللفظ الظاهر قد سماه كلامًا، وإن لم يعلم قيام معناه بقلب صاحبه، وهذا حجة عليهم؛ فقد اشتمل شعره على هذا وهذا، بل قوله: «مع الكلام» مطلق، وقوله: «إن الكلام لفي الفؤاد» أراد به أصله ومعناه المقصود به، واللسان دليل على ذلك.

وبالجملة فمن احتاج إلى أن يعرف مسمى «الكلام» في لغة العرب والفرس والروم والترك وسائر أجناس بني آدم بقول شاعر فإنه من أبعد الناس عن معرفة طرق العلم.

ثم هو من المولدين؛ وليس من الشعراء القدماء، وهو نصراني كافر مثلث، واسمه الأخطل، والخطل فساد في الكلام، وهو نصراني، والنصارى قد أخطؤوا في مسمى الكلام، فجعلوا المسيح القائم بنفسه هو نفس كلمة الله)[1].

المسألة الثانية: من معتقد أهل السنة والجماعة أن (القرآن كلام الله تعالى، منزل، غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود)[2].

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ١٣٩).

(٢) العقيدة الواسطية (٨٩).

قال عمرو بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (أَدْرَكْت النَّاس مُنْذُ سبعين سنة أَصْحَاب رَسُول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمن دونهم يَقُولُونَ: الله خَالق وَمَا سواهُ مَخْلُوق إِلَّا الْقُرْآن فَإِنَّهُ كَلَام الله مِنْهُ خرج وَإِلَيْهِ يعود)(١).

وهذه المسألة، وهي الاعتقاد الصحيح بالقرآن فرع عن المسألة الأولى، فمن وُفِّق للصواب في صفة الكلام لله تعالى وُفِّق للاعتقاد الصحيح بالقرآن، وهذا حال أهل السنة والجماعة، ومن أخطأ الحق في صفة الكلام أخطأ المعتقد الصحيح بالقرآن، وهذا حال أهل البدعة والفُرقة.

قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ مبينًا أن هذه المسألة فرع عن المسألة الأولى، وسببَ إفرادِ العلماء لها بالذكر: (القول في القرآن جزء من القول في كلام الله على العموم، لكن لما وقعت فيه المحنة، وصار محك نزاع بين المعتزلة وأهل السنة صار الناس يفردون القول في القرآن بكلام خاص)(٢).

شرح معتقد أهل السنة والجماعة - الذي سبق ذكره - بالقرآن:

أولًا: (القرآن كلام الله) والأدلة على هذا كثيرة، منها ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:٦].

فالمراد بكلام الله تعالى في الآية: القرآن.

---

(١) العلو للعلي الغفار (١٥٦).

(٢) شرح الواسطية (١/ ٤٢).

قال أبو جعفر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (يقول تعالى ذكره لنبيه: وإن استأمنك، يا محمد، من المشركين الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم أحدٌ؛ ليسمع كلام الله منك، وهو القرآن الذي أنزله الله عليه ﴿فَأَجِرْهُ﴾، يقول: فأمّنه حتى يسمع كلام الله وتتلوه عليه، ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾، يقول: ثم رُدَّه بعد سماعه كلام الله إن هو أبَى أن يسلم، ولم يتعظ لما تلوته عليه من كلام الله فيؤمن إلى مأمنه، يقول: إلى حيث يأمن منك وممن في طاعتك، حتى يلحق بداره وقومه من المشركين)[1].

هذا دليل من القرآن، وأما السنة فقد قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (وكذلك تواترت الأخبار عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن القرآن كلام الله)[2].

ومن تلك الأخبار الدليل التالي:

٢- عن جابر بن عبد الله، قال: كان رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعرِضُ نفسَه على الناس بالموقف، فقال: «**ألا رجل يَحمِلُني إلى قَومِهِ، فإنَّ قريشًا قد مَنَعوني أن أُبلِّغ كلامَ رَبِّي** عَزَّ وَجَلَّ»[3].

فمراد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقوله: «**كلام ربي**» القرآن.

ثانيًا: (منزل) للقرآن الكريم تنزلان:

١- تنزل القرآن مفرقًا.

من معتقد أهل السنة والجماعة أن الله تعالى أنزل القرآن مفرقًا على النبي

---

(١) تفسير الطبري (١٤/ ١٣٨).

(٢) خلق أفعال العباد (٢/ ١١٢).

(٣) رواه أبوداود (٤٥٦٧)، وصححه الألباني.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنه سبحانه إن أراد إنزال شيء من القرآن فإنه يقوله لجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيسمعه من الله تعالى، وينزل به على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وإليك بعض الأدلة على نزول القرآن مفرقًا:

أ- قوله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء:١٠٦].

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: (﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ ﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامّة قرّاء الأمصار ﴿ فَرَقْنَٰهُ ﴾ بتخفيف الراء من فرقناه، بمعنى: أحكمناه وفصلناه وبيناه، وذكر عن ابن عباس، أنه كان يقرؤه بتشديد الراء «فَرَّقْنَاهُ» بمعنى: نزلناه شيئًا بعد شيء، آية بعد آية، وقصة بعد قصة)[(١)].

ب- قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ [الفرقان:٣٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ: (يقول تعالى مخبرًا عن كثرة اعتراض الكفار وتعنتهم، وكلامهم فيما لا يعنيهم، حيث قالوا: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ أي: هلا أنزل عليه هذا الكتاب الذي أوحي إليه جملة واحدة، كما نزلت الكتب قبله، كالتوراة والإنجيل والزبور، وغيرها من الكتب الإلهية، فأجابهم الله عن ذلك بأنه إنما أنزل منجمًا في ثلاث وعشرين سنة بحسب الوقائع والحوادث، وما يحتاج إليه من الأحكام؛ لتثبيت قلوب المؤمنين به كما قال: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء:١٠٦]، ولهذا قال:

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٥٧٣).

﴿لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ قال قتادة: وبيناه تبيينًا. وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم: وفسرناه تفسيرًا)[١].

ج- عن عائشة وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قالا: (لبث النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن، وبالمدينة عشر سنين)[٢].

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (ويؤخذ من هذا الحديث مما يتعلق بالترجمة أنه نزل مفرقًا ولم ينزل جملة واحدة)[٣].

٢- تنزل القرآن جملة:

فجبرائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نزل بالقرآن كله من اللوح المحفوظ، ووضعه في بيت العزة من السماء الدنيا في ليلة القدر من شهر رمضان.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (وهو سبحانه أنزل القرآن ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت الْعِزَّة في السَّماء الدنيا)[٤].

وإليك الأدلة على هذا التنزل:

قال الله جل ثناؤه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة:١٨٥].

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ١٠٩).

(٢) رواه البخاري (٤٩٧٨)، قال ابن كثير في تفسيره (١/ ١٨): (أما إقامته بالمدينة عشرًا فهذا ما لا خلاف فيه، وأما إقامته بمكة بعد النبوة فالمشهور ثلاث عشرة سنة؛ لأنه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، أوحي إليه وهو ابن أربعين سنة، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح، ويحتمل أنه حذف ما زاد على العشرة اختصارًا في الكلام؛ لأن العرب كثيرًا ما يحذفون الكسور في كلامهم، أو أنهما إنما اعتبرا قرن جبريل، عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فإنه قد روى الإمام أحمد أنه قرن به عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ميكائيل في ابتداء الأمر، يلقي إليه الكلمة والشيء، ثم قرن به جبريل).

(٣) فتح الباري (٩/ ٤).

(٤) مجموع الفتاوى (١٦/ ٣٠٧).

فهذه الآية تفيد أن إنزاله كان في شهر رمضان.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان:٣].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾ [القدر:١].

وهاتان الآيتان تفيدان أنه أنزل في ليلة القدر.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: (أنزل الله القرآن إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، وكان الله إذا أراد أن يوحي منه شيئًا أوحاه، فهو قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾)[1].

قال ابن ناصر الدين الدمشقي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (والسر في إنزال القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا، ثم نزل على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مفرقًا أن الكتب المنزلة قبل نزول القرآن أنزلت إلى الأرض جملة واحدة، فحصل للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما حصل للأنبياء الذين أنزل الله عليهم كتبه جملة واحدة، فأنزل القرآن جملة واحدة، ووضع في بيت العزة من سماء الدنيا، ثم زاده الله على الأنبياء بنزول القرآن مفرقًا بعد نزوله جملة، فكان نزول القرآن مرتين)[2].

ثالثًا: (غير مخلوق) ومما يدل على هذا قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا﴾ [الشورى:٥٢].

(١) تفسير الطبري (٣/ ٤٤٦).

(٢) مجالس في تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ﴾ (٢٦٢).

إذ قوله: ﴿ رُوحًا ﴾ المراد به القرآن، وقد جعله سبحانه من الأمر، والأمر غير مخلوق، فالقرآن إذن غير مخلوق.

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ مستدلًا بقوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ على أن القرآن غير مخلوق: (فجعل الخلق شيئًا والأمر شيئًا آخر؛ لأن العطف يقتضي المغايرة، والقرآن من الأمر؛ بدليل قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [الشورى:٥٢]، فإذا كان القرآن أمرًا، وهو قسيم للخلق؛ صار غير مخلوق؛ لأنه لو كان مخلوقًا؛ ما صح التقسيم)[(١)].

ثم إن كل دليل يدل على أن كلام الله تعالى غير مخلوق فإنه يدل على أن القرآن غير مخلوق؛ إذ القرآن من كلام الله تعالى.

رابعًا: (منه بدأ، وإليه يعود) (وإنما قالوا: منه بدأ؛ لأن الجهمية من المعتزلة وغيرهم كانوا يقولون: إنه خلق الكلام في محل، فبدأ الكلام من ذلك المحل، فقال السلف: منه بدأ، أي: هو المتكلم به، فمنه بدأ، لا من بعض المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [الزمر:١]، ﴿ وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى ﴾ [السجدة:١٣]، ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل:١٠٢])[(٢)].

---

(١) شرح الواسطية (١/ ٤٢٧).

(٢) شرح الطحاوية لابن أبي العز (١٤٤).

وأما قولهم: (وإليه يعود) ففي معناه وجهان: (**الأول:** أنه كما جاء في بعض الآثار: يسرى عليه في ليلة، فيصبح الناس ليس بين أيديهم قرآن، لا في صدورهم، ولا في مصاحفهم، يرفعه الله عَزَّوَجَلَّ.

وهذا -والله أعلم- حينما يعرض عنه الناس إعراضًا كليًا، لا يتلونه لفظًا، ولا عقيدة، ولا عملًا، فإنه يرفع؛ لأن القرآن أشرف من أن يبقى بين يدي أناس هجروه وأعرضوا عنه، فلا يقدرونه قدره، وهذا -والله أعلم- نظير هدم الكعبة في آخر الزمان، حيث يأتي رجل من الحبشة قصير أفحج أسود، يأتي بجنوده من البحر إلى المسجد الحرام، وينقض الكعبة حجرًا حجرًا، كلما نقض حجرًا مده للذي يليه، وهكذا يتمادون الأحجار إلى أن يرموها في البحر، والله عَزَّوَجَلَّ يمكنهم من ذلك، مع أن أبرهة جاء بخيله ورجله وفيله، فقصمه الله قبل أن يصل إلى المسجد؛ لأن الله علم أنه سيبعث هذا النبي، وتعاد إلى المسجد هيبته وعظمته، ولكن في آخر الزمان لن يبعث نبي بعد محمد عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وإذا أعرض الناس عن تعظيم هذا البيت نهائيًّا فإنه يسلط عليه هذا الرجل من الحبشة؛ فهذا نظير رفع القرآن، والله أعلم.

الوجه الثاني: أنه يعود إلى الله وصفًا، أي: أنه لا يوصف به أحد سوى الله فيكون المتكلم بالقرآن هو الله عَزَّوَجَلَّ، وهو الموصوف به.

ولا مانع أن نقول: إن المعنيين كلاهما صحيح)[١].

---

(١) شرح الواسطية لابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ (١/ ٤٢٩-٤٣٠) بتصرف يسير.

وقد ضلت الجهمية والمعتزلة والأشاعرة المعتقد الصحيح في القرآن، كما أنهم ضلوا المعتقد الصحيح في كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فقالت الجهمية والمعتزلة: القرآن مخلوق، وإليك بعض شبههم والجواب عليها:

أولًا: قالوا: القرآن شيء، والله خالق كل شيء، فالقرآن إذن مخلوق.

وقد أجاب الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عن هذه الشبهة فقال: (ثم إن الجهمي ادعى أمرًا آخر، فقال: أخبرونا عن القرآن: هو شيء؟

فقلنا: نعم هو شيء.

فقال: إن الله خالق كل شيء، فلم لا يكون القرآن مع الأشياء المخلوقة، وقد أقررتم أنه شيء؟

فلعمري لقد ادعى أمرًا أمكنه فيه الدعوى، ولبَّس على الناس بما ادعى.

فقلنا: إن الله لم يسم كلامه في القرآن شيئًا، إنما سمَّاه شيئًا الذي كان بقوله، ألم تسمع إلى قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل:٤٠].

فالشيء ليس هو قوله، إنما الشيء الذي كان بقوله.

وقال في آية أخرى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا ﴾ [يس:٨٢].

فالشيء ليس هو أمره، إنما الشيء الذي كان بأمره.

ومن الأعلام والدلالات أنه لا يعني كلامه مع الأشياء المخلوقة قوله عَزَّوَجَلَّ في الريح التي أرسلها على عاد: ﴿ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ ﴾ [الذاريات:٤٢]، ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ [الأحقاف:٢٥].

وقد أتت تلك الريح على أشياء لم تدمرها: منازلهم، ومساكنهم، والجبال التي بحضرتهم، فأتت عليها تلك الريح ولم تدمرها، وقد قال: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ [الأحقاف:٢٥].

فكذلك إذا قال: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام:١٠٢] لا يعني نفسه ولا علمه ولا كلامه مع الأشياء المخلوقة.

وقال لملكة سبأ: ﴿ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [النمل:٢٣].

وقد كان ملك سليمان شيئًا ولم تؤته.

وكذلك إذا قال: ﴿ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأنعام:١٠٢] لا يعني كلامه مع الأشياء المخلوقة)[١].

ثانيًا: استدلوا بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف:٣] وقالوا: جعل بمعنى: خلق.

قال ابن أبي العز الحنفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف:٣] فما أفسده من استدلال! فإن (جعل) إذا كان بمعنى خلق يتعدى إلى مفعول واحد، كقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ [الأنعام:١]، وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٠]، ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [الأنبياء:٣١]، وإذا تعدى إلى مفعولين لم يكن بمعنى خلق،

(١) الرد على الجهمية (٢٣٣-٢٣٤).

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ [النحل:٩١]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ ﴾ [البقرة:٢٢٤]، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾ [الحجر:٩١]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ [الإسراء:٢٩]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ ﴾ [الإسراء:٣٩]، وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ﴾ [الزخرف:١٩]، ونظائره كثيرة، فكذا قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف:٣])[١].

وأما الأشاعرة فقد قالوا: إن القرآن عبارة عن كلام الله، وهذا بناء على اعتقادهم في كلام الله تعالى، وأنه المعنى القائم بذاته، دون اللفظ، والحروف والأصوات عبارة عنه خلقها الله؛ لتدل على ذلك المعنى القائم بذاته.

وهذا يعني أن الأشاعرة يقولون بخلق القرآن، إذ هم يقولون القرآن عبارة عن الكلام النفسي، والأحرف والأصوات التي يعبر بها عن الكلام هي عندهم مخلوقة، فالقرآن مخلوق، ولكنهم لا يتجاسرون بالتصريح بخلق القرآن، قال ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (اتفق الجميع على أنه قرآن...، فجاءت هذه الطائفة بمخالفة رب العالمين وخلقه أجمعين...، فجاءت بطامة إذ من لوازمها كون القرآن مخلوقًا سوى هذا الكتاب...،ثم إنهم مع جحدهم كون هذا قرآنًا لا يتجاسرون على إظهار مقالتهم لسلاطين المسلمين ولا لعامتهم، وإنما يظهرون لهم إنكار الحروف...،وهذا إنما يلبس على عامي غمر ما له

(١) شرح الطحاوية لابن أبي العز (١٣٤).

فطنة، فيعلم قطعًا أن السور آيات، والآيات كلمات، والكلمات حروف، ولا شك في ذلك، ثم قد صرح النبي ﷺ وأصحابه والتابعون ومن بعدهم بالحروف، وعد الناس حروف القرآن في الأمصار، ولم ينكر هذا منكر قبل هذه الطائفة، وما أنكرت هذه الطائفة الحروف على وجه الخصوص، إنما أنكرت هذه الطائفة القرآن كله وجحدته)[1].

وقد سبق بيان بطلان قولهم بالكلام النفسي، وأما قولهم بأن القرآن عبارة فترده أدلة كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة:٦].

قال ابن أبي العز الحنفي: (الآية تدل على فساد قول من قال: إن المسموع عبارة عن كلام الله وليس هو كلام الله، فإنه تعالى قال: ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، ولم يقل حتى يسمع ما هو عبارة عن كلام الله)[2].

ومثلها كثير، كقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن:١].

فلم تقل الجن: إنا سمعنا ما هو عبارة عن القرآن.



(١) البرهان في بيان القرآن (٥٢).
(٢) شرح الطحاوية (١٤٣).


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

ولا تكُ في القرآنِ بالوقفِ قائِلا   كما قال أتباعٌ لجهمٍ وأسجَحوا

الكلام عليه من وجهين:

✍ الوجه الأول: في شرح بعض ألفاظه:

(الوقف): المراد به: مذهب من يقول: القرآن كلام الله، ولا أقول مخلوق، ولا غير مخلوق.

(جهم): هو ابن صفوان إمام الجهمية.

(أسجحوا): يقال: (سجحت له بشيء من الكلام، إذا كان كلام فيه تعريض بمعنى من المعاني)[١]، فهم يُعرِّضون بهذه المقالة إلى قبول القول بخلق القرآن.

✍ الوجه الثاني: في بيان معنى البيت:

يحذر المصنف في هذا البيت من القول بمذهب الواقفة في القرآن، الذين يقولون: القرآن كلام الله، ولا نقول: مخلوق، ولا غير مخلوق، ويبين أنه قول أتباع جهم.

قال إسحاق بن راهويه: (من قال لا أقول: القرآن غير مخلوق فهو جهمي)[٢].

وهم أتباع لجهم وإن لم يصرحوا بخلق القرآن؛ لأنهم تأثروا بمقالته، ويظهر هذا التأثر بتوقفهم عن التصريح بالحق، وأن القرآن كلام الله تعالى

(١) تهذيب اللغة (٤/ ٧٥).
(٢) الشريعة (١/ ٥٢٩).

غير مخلوق، بل إن كثيرًا منهم جهمية في الباطن يدينون بخلق القرآن، لكنهم يتسترون بالوقف، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (كالواقفة الذين قالوا لا نقول القرآن مخلوق ولا نقول إنه غير مخلوق، هذا مع أن كثيرًا من الواقفة يكون في الباطن مضمرًا للقول المخالف للسنة ولكن يظهر الوقف نفاقًا ومصانعة فمثل هذا موجود)[١].

والقائل بالوقف عند أهل العلم شرٌّ ممن يصرح بخلق القرآن؛ لأنه يظهر بمظهر المتورع، ويوهم الناس أن كلا القولين له حظ من النظر والتأمل، وهو إضافة إلى ذلك شاك في دينه.

قال أبو داود: (سمعت أحمد: وذكر رجلين كانا وقفا في القرآن، ودعوا إليه، فجعل يدعو عليهما وقال لي: هؤلاء فتنة عظيمة، وجعل يذكرهما بالمكروه)[٢].

وقال أبوداود: (سمعت قتيبة بن سعيد: وقيل له الواقفة، فقال: «هؤلاء الواقفة شر منهم» يعني ممن قال: القرآن مخلوق)[٣].

وقال الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (وأما الذين قالوا: القرآن كلام الله ووقفوا فيه وقالوا: لا نقول: غير مخلوق، فهؤلاء عند كثير من العلماء ممن رد على من قال بخلق القرآن، قالوا: هؤلاء الواقفة مثل من قال: القرآن مخلوق وأشر؛ لأنهم شكوا في دينهم، ونعوذ بالله ممن يشك في كلام الرب: إنه غير مخلوق)[٤].

(١) الفتاوى الكبرى (٦/ ٣٥٢).
(٢) الشريعة (١/ ٥٢٨).
(٣) الشريعة (١/ ٥٢٩).
(٤) الشريعة (١/ ٥٢٦).

ولا تقلِ القرآنُ خلقٌ قراءتُه فإنَّ كلامَ اللهِ باللَّفْظِ يوضَحُ

الكلام عليه من وجهين:

✍ الوجه الأول: في شرح بعض ألفاظه:

(يوضح): يظهر ويكشف.

✍ الوجه الثاني: في بيان معنى البيت:

يحذر المصنف في هذا البيت من مذهب اللفظية الذين يقولون: لفظي بالقرآن مخلوق، أو قراءتي مخلوقة...إلخ.

والخطورة في هذه المقالة تكمن في أن لفظي وقراءتي مصدران، والمصدر قد يراد به الفعل، وهو التلفظ والقراءة، وحينئذ يكون معنى هذه الكلمة صحيحًا؛ إذ فعل الإنسان مخلوق، وقد يراد به المفعول، وهو المتلفَّظ به والمقروء، وحينئذ يكون معنى هذه الكلمة باطلًا، إذ المتلفَّظ به كلام الباري، وهو غير مخلوق، فالصواب ما جاء عن السلف، وهو قولهم: (الكلام كلام الباري، والصوت صوت القاري)، وأعم منه قولهم: (والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته)[١] أي: سواء كان مكتوبًا في السطور، أو محفوظًا في الصدور، أو متلوًا بالألسن.

ومن الجهمية من كان يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، ويريد المعنى الثاني، وهو أن المتلَفَّظ به – وهو القرآن – مخلوق، فأنكر الأئمة عليهم هذه

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٩٧).

المقالة، ونهوا عنها، قال الإمام أحمد: (من زعم أن لفظي بالقرآن مخلوق، فهو جهمي)[1].

وقد بين المصنف بعد أن حذر من هذه المقالة المعتقد الصحيح، فقال (فإنَّ كلامَ اللهِ باللَّفْظِ يوضَحُ) أي: أن القرآن يظهر للأسماع بصوت القراء، وهذا مطابق لقول السلف: (الكلام كلام الباري، والصوت صوت القاري).



(١) الإبانة الكبرى (٥/ ٣٣٩).

وقُلْ يتجلَّى اللهُ للخلقِ جــهْرَةً		كما البدرُ لا يخفى وربُّك أوضحُ

الكلام عليه من وجهين:

✍ الوجه الأول: في شرح بعض ألفاظه:

(يتجلى): يظهر.

(جهرة): عيانًا.

✍ الوجه الثاني: في معنى البيت:

ينصح المصنف في هذا البيت باعتقاد أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يرى يوم القيامة رؤية أشد وضوحًا من رؤية البدر في الدنيا.

وتشبيه المصنف وضوح رؤية الله تعالى بوضوح رؤية البدر منتزع من الحديث الذي أخرجه الشيخان عن جرير بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (كنا جلوسًا عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: «**أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تَضامُّون**[١] **في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها فافعلوا**»)[٢].

---

(١) قال ابن رجب في فتح الباري (٤/ ٣٢١): (قال الخطابي: «لا تضامون»، روي على وجهين:
مفتوحة التاء، مشددة الميم، وأصله تَتَضامُّون، أي: لا يضام بعضكم بعضًا، أي: لا يزاحم، من الضم، كما يفعل الناس في طلب الشيء الخفي، يريد أنكم ترون ربكم وكل واحد منكم وادع في مكانه، لا ينازعه فيه أحد.
والآخر: مخفف: تُضامُون – بضم التاء – من الضيم، أي: لا يضيم بعضكم بعضًا فيه.
وذكر ابن السمعاني فيه رواية ثالثة: «تُضامُّون» – بضم التاء، وتشديد الميم –، قال: ومعناها: لا تزاحمون، قال: ورواية فتح التاء مع تشديد الميم معناها: لا تزاحمون).

(٢) رواه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (٦٣٣).

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (قوله: «**كما ترون هذا القمر**» شبه الرؤية بالرؤية، لا المرئي بالمرئي سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وإنما شبه الرؤية برؤية البدر؛ لمعنيين:

أحدهما: أن رؤية القمر ليلة البدر لا يشك فيه ولا يمترى.

والثاني: يستوي فيه جميع الناس من غير مشقة)[١].

وأحاديث إثبات رؤية المؤمنين ربهم متواترة، وفي ذا قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

ويرونه سبحانه من فوقِهم ... نظرَ العِيان كما يُرى القمرانِ

هذا تواترَ عن رسولِ اللهِ لمْ ... ينكرهُ إلا فاسدُ الإيمانِ

والرؤية ثابتة في القرآن أيضًا، ومن الآيات المثبتة لها قوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة:٢٢-٢٣].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ من النضارة، أي حسنة بهية مشرقة مسرورة، ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ أي: تراه عيانا)[٢].

وقال سبحانه: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين:١٥].

قال الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (ولم يقل للكفار: ﴿ محجوبون ﴾ إلا وأن المؤمنين لا يحجبون عنه، فإن كان المؤمنون عندكم محجوبين عن الله كالكفار، فأي توبيخ للكفار في هذه الآية إذا كانوا هم والمؤمنون جميعًا عن الله يومئذ محجوبين)[٣].

---

(١) فتح الباري (٤/ ٣٢٠).
(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٢٧٩).
(٣) الرد على الجهمية (١٢١).

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ [يونس:٢٦].

وقد فسر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ الزيادة بالنظر لوجه الله تعالى، فعن صهيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى: تريدون شيئًا أَزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيِّض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجِّنا من النار؟ قال: فيكشِف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم** عَزَّوَجَلَّ»، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ [يونس:٢٦][(١)].

(وإنما سميت زيادة لأن الحسنى هي الجنة، وهي ما وعد الله تعالى بفضله جزاء لأعمال المكلفين، والزيادة فضل على فضل)[(٢)].

(وهذا مناسب لجعله جزاء لأهل الإحسان؛ لأن الإحسان: هو أن يعبد المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة، كأنه يراه بقلبه وينظر إليه في حال عبادته، فكان جزاء ذلك النظر إلى الله عيانًا في الآخرة، وعكس هذا ما أخبر الله تعالى به عن جزاء الكفار في الآخرة: ﴿إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥]، وجعل ذلك جزاء لحالهم في الدنيا، وهو تراكم الران على قلوبهم، حتى حجبت عن معرفته ومراقبته في الدنيا، فكان جزاؤهم على ذلك أن حجبوا عن رؤيته في الآخرة)[(٣)].

---

(١) رواه مسلم (١٨١).

(٢) مرقاة المفاتيح (٩/ ٣٥٩٩).

(٣) جامع العلوم والحكم (١/ ١٢٦).

وقد أجمع أهل السنة على ما أفادته هذه النصوص من القرآن والسنة، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (قد دل القران والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يرى يوم القيامة بالأبصار عيانًا كما يرى القمر ليلة البدر صحوًا)[١].



(١) حادي الأرواح (١/ ٣٤٢).

وليس بمولود وليس بوالد ... وليس له شِبْهٌ تعالى المُسَبَّحُ

الكلام عليه من وجوه:

الوجه الأول: في شرح بعض ألفاظه:

(شبه): مثيل ونظير.

(تعالى): ارتفع قدره.

(المسبَّح): المنزَّه عن النقائص، ومنها مشابهة المخلوقين.

الوجه الثاني: في معنى البيت:

نفى المصنف في هذا البيت أنواعًا من النقائص عن الله عَزَّوَجَلَّ، اتباعًا لما جاء في القرآن الحكيم، وليس نفيه محضًا، إذ النفي المحض لا كمال فيه، وإنما هو نفي مع إثبات كمال ضد الوصف المنفي، وهذه قاعدة أهل السنة والجماعة في جميع ما نفاه الله تعالى عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأول تلك النقائص المنفية في قوله: (وليس بمولود).

فالله عَزَّوَجَلَّ لم يولد؛ (لأنه لو ولد، لكان مسبوقًا بوالد مع أنه جَلَّوَعَلَا هو الأول الذي ليس قبله شيء، وهو الخالق وما سواه مخلوق، فكيف يولد؟

وإنكار أنه وُلِدَ أبلغ في العقول من إنكار أنه والد ولهذا لم يدع أحد أن لله والدًا)[1].

وثانيها في قوله: (وليس بوالد).

فالله عَزَّوَجَلَّ لم يلد خلافًا لما ادعته اليهود من كون عزير ابن الله، والنصارى من كون المسيح ابن الله، والمشركون من كون الملائكة بنات الله.

(١) شرح الواسطية لابن عثيمين (١/ ١٦٢).

ونفي الوالد والولد فيه إثبات كمال صمديته وغناه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[1]، فالله عَزَّ وَجَلَّ غير مفتقر لمن يوجده، ولا لولد يساعده.

وثالثها: في قوله: (وليس له شِبْهٌ).

وهذا يعني أنه لا مثل له لا في أسمائه، ولا في صفاته وأفعاله، وذلك لتفرده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالكمال المطلق.

وهذا البيت منتزع من قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص:٣-٤].

ففي الآية نفي للوالد والولد والكفو، وهو: المثيل والنظير.

الوجه الثالث: في سبب إتيانه بهذا البيت هنا:

لعله جاء بهذا البيت هنا ليبين أن المراد بالبيت السابق تشبيه رؤية الله برؤية القمر، لا تشبيه الله بالقمر، فإنه سبحانه (ليس له شبه).



(١) قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في (بدائع الفوائد) (١/ ١٦١): (قوله: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ متضمن لكمال صمديته وغناه).

وقد يُنْكِرُ الجهميُّ هذا وعندنا ... بمصداقِ ما قُلْنَا حديثٌ مصرِّحُ
رواه جريرٌ عن مقال محمدٍ ... فقل مثلَ ما قدْ قال في ذاك تَنْجَحُ

الكلام عليهما من وجوه:

الوجه الأول: في شرح بعض ألفاظهما.

(قد): حرف إن دخل على المضارع أفاد عدة معان، منها التحقيق، كما في قوله تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ ﴾ [الأحزاب:١٨]، وهو المراد في هذا البيت، إذ الجهمي ينكر الرؤية تحقيقًا.

(مصداق): مصداق الشيء: ما يصدقه.

(مصرح): مُظْهِرٌ، ومبَيِّنٌ لصدق قولنا بثبوت الرؤية.

(تنجح): تظفر.

الوجه الثاني: في بيان معنى البيتين:

بين الناظم أن الجهمية ينكرون الرؤية، وهي ثابتة عندنا أهل السنة والجماعة بحديث رواه عن النبي ﷺ الصحابي جرير بن عبدالله رضي الله عنه، وقد سبق ذكر الحديث، وذِكرُ بعض أدلة إثبات الرؤية من القرآن، ثم بيَّن المصنف أن من قال بمثل ما قد قال النبي ﷺ في الحديث من إثبات رؤية المؤمنين لرب العالمين فإنه يظفر بالمعتقد الصحيح وحسن المتابعة لسيد المرسلين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

الوجه الثالث: في قوله: (وقد يُنْكِرُ الجهميُّ هذا):

أنكرت الجهمية الرؤية؛ لأنها بزعمهم تستلزم التجسيم والتشبيه،

ثم طفقوا يبحثون عن شبه تؤيد معتقدهم الفاسد، وسأذكر لك هنا بعض شبههم مع إبطال أهل العلم لها:

الشبهة الأولى: قالوا: إن موسى لَمَّا قال لله تعالى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ قال له: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣] فدل هذا على أن الله تعالى لا يرى في الآخرة.

وقد بين ابن القيم أن هذه الآية تدل على إثبات الرؤية من وجوه، وفي ضمنها جواب على هذه الشبه، فإليك تلك الوجوه مختصرة:

(**أحدها:** أنه لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه، بل ما هو من أبطل الباطل وأعظم المحال.

الوجه الثاني: أن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ لم ينكر عليه سؤاله، ولو كان محالًا لأنكره عليه.

الوجه الثالث: أنه أجابه بقوله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، ولم يقل: لا تراني، ولا إني لست بمرئي، ولا تجوز رؤيتي، والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله، وهذا يدل على أنه سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ يُرى، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار؛ لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى، يوضحه:

الوجه الرابع: وهو قوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف:١٤٣]، فأعلمه ان الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار، فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف؟!

الوجه الخامس: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قادر على أن يجعل الجبل مستقرًا مكانه، وليس هذا بممتنع في مقدوره، بل هو ممكن، وقد علَّق به الرؤية، ولو كانت محالًا في ذاتها لم يعلِّقها بالممكن في ذاته، ولو كانت الرؤيا محالًا لكان ذلك نظير أن يقول: إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام، فالأمران عندكم سواء.

الوجه السادس: قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف:١٤٣]، وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب عليه، فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامتهم، ويريهم نفسه؟! فأعلم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف.

الوجه السابع: أن ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد كلمه منه إليه وخاطبه وناجاه وناداه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم، وأن يُسمع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم، وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين، فأنكروا أن يكلم أحدًا، أو يراه أحد، ولهذا سأله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ النظر إليه وأسمعه كلامه، وعلم نبي الله جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه، وأما قوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ فإنما يدل على النفي في المستقبل، ولا يدل على دوام النفي ولو قيدت بالتأبيد،

فكيف إذا أطلقت؟ قال تعالى: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة:٩٥] مع قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف:٧٧])[1].

الشبهة الثانية: قالوا: إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] فالأبصار لا تدركه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإذا كان كذلك فإنه لا يُرى.

وفي (حادي الأرواح) كلام نفيس في بيان أن هذه الآية من أدلة إثبات الرؤية، لا نفيها، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (والاستدلال بهذا[2] أعجب، فإنه من أدلة النفاة، وقد قرر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه، وقال لي: أنا ألتزم أنه لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله، فمنها هذه الآية، وهي على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها، فإن الله سبحانه إنما ذكرها في سياق التمدُّح، ومعلوم أنَّ المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال، فلا يمدح به، وإنما يمدح الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بالعدم إذا تضمن أمرًا وجوديًا، كتمدحه بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة.

ولهذا لم يتمدح بعدم محض لا يتضمن أمرًا ثبوتيًّا، فإنَّ المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه،

(١) حادي الأرواح (٢٨٥-٢٨٧).
(٢) أي: بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾.

فلو كان المراد بقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] أنه لا يرى بحال، لم يكن في ذلك مدح ولا كمال؛ لمشاركة المعدوم له في ذلك، فإن العدم الصرف لا يرى، ولا تدركه الأبصار، والرب جَلَّجَلَالُهُ يتعالى أن يُمدح بما يشاركه فيه العدم المحض.

فإذًا المعنى: أنه يرى، ولا يدرك ولا يحاط به، كما كان المعنى في قوله: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ [يونس:٦١] أنه يعلم كل شيء، وفي قوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق:٣٨] أنه كامل القدرة، فقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] يدل على غاية عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن الإدراك هو: الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ﴾ [الشعراء:٦١-٦٢] فلم ينف موسى الرؤية، ولم يريدوا بقولهم: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ إنا لمرئيون، فان موسى صلوات الله وسلامه عليه نفى إدراكهم إياهم، بقوله: ﴿كَلَّآ﴾ وأخبر الله سبحانه أنه لا يخاف دركهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه:٧٧] فالرب تعالى يُرى ولا يدرك، كما يُعْلَم ولا يحاط به، وهذا هو الذي فَهمتْه الصحابة والأئمة من الآية.

قال ابن عباس: «﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ لا تحيط به الأبصار».

وقال قتادة: «هو أعظم من أن تدركه الأبصار».

وقال عطية: «ينظرون إلى الله ولا تحيط أبصارهم به من عظمته، وبصرُه يحيط بهم، فذلك قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [الأنعام:١٠٣]».

فالمؤمنون يرون ربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بأبصارهم عيانًا، ولا تدركه أبصارهم، بمعنى أنها لا تحيط به؛ إذ كان غير جائز أن يوصف الله عَزَّوَجَلَّ بأن شيئًا يحيط به، وهو بكل شيئًا محيط، وهكذا يُسمع كلامه من يشاء من خلقه، ولا يحيطون بكلامه، وهكذا يُعلِّم الخلق ما علمهم، ولا يحيطون بعلمه)[١].



(١) حادي الأرواح (٢٩٤) بتصرف.

وَقَدْ يُنْكِرُ الجَهْمِيُّ أيْضًا يمينــهُ وكلْتا يديهِ بالفواضلِ تنْفَـــحُ

الكلام عليه من وجهين:

الوجه الأول: في شرح بعض ألفاظه:

(قد): يراد بها هنا التحقيق.

(الفواضل): جمع فاضلة، وهي النعمة العظيمة.

(تنفح): من النفح، وهو العطاء.

الوجه الثاني: في معنى البيت:

بيَّن المصنف في هذا البيت أن الجهمية ينكرون أيضًا صفة اليدين، والحق أنه سبحانه له يدان تليقان به، كلتاهما تجود بالنعم.

وسأتحدث حول صفة اليدين من خلال ما يلي:

أولًا: في بيان الأدلة على إثبات اليدين لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن إحداهما يمين، والأخرى شمال.

قال أبو نصر السجزي: (وأهل السنة متفقون على أن الله سبحانه يدين، بذلك ورد النص في الكتاب والأثر)[١].

وإليك الأدلة من الكتاب والأثر:

قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص:٧٥].

فهذه الآية تفيد إثبات اليدين لله تعالى، وأنه خلق آدم بهما.

---

(١) الرد على من أنكر الحرف والصوت (٢٦٣).

وقال سبحانه: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة:٦٤].

وهذه الآية تفيد أن لله تعالى يدين مبسوطتين بالنعم والعطاء.

وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يمين الله ملأى، لا يَغيضُها، سحاءُ الليلَ والنهارَ، أرأيتم ما أنفقَ مُذْ خلقَ السماءَ والأرض، فإنَّه لم يَغِضْ ما في يمينه**» **قال: «وعرشه على الماء، وبيده الأخرى القبض، يرفع ويخفِض**»[1].

وهذا يفيد إثبات اليدين أيضًا.

وقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَطْوِي اللهُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟**»[2].

وهذا الحديث يفيد إثبات اليدين أيضًا، وأنهما يمين وشمال.

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن المُقْسِطينَ عند الله على منابرَ من نورٍ عن يمينِ الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلونَ في حُكْمهم وأهليهم وما وَلُو**»[3].

وهذا الحديث أيضًا يفيد إثبات اليدين لله تعالى، وقوله: «وكلتا يديه يمين» لا يعارض الحديث السابق، إذ المراد به دفع توهم النقص في شماله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وليس المراد نفيها عنه سبحانه.

---

(١) رواه البخاري (٧٤١٩)، ومسلم (٩٩٣).

(٢) رواه مسلم (٢٧٨٨).

(٣) رواه مسلم (١٨٢٧).

قال الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ («وكلتا يديه يمين» أي: منزه عن النقص والضعف، كما في أيدينا الشمال من النقص، وعدم البطش، فقال: «كلتا يدي الرحمن يمين» إجلالًا لله، وتعظيمًا أن يوصف بالشمال، وقد وصفت يداه بالشمال واليسار، وكذلك لو لم يجز إطلاق الشمال واليسار لما أطلق رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[1].

ثانيًا: في دفع توهم تعارض الأدلة المثبتة لهذه الصفة.

النصوص المثبتة لليد جاءت بألفاظ متنوعة، فبعضها جاءت فيها اليد مفردة، وفي بعضها جاءت مثناة، وفي بعضها مجموعة.

فمن الأول: جاء قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس:٨٣]، وقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١].

ومن الثاني: النصوص التي سبق ذكرها في إثبات صفة اليدين لله تعالى.

ومن الثالث: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ [يس:٧١].

ولا تعارض بين هذه الآيات؛ إذ قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ﴾، وما كان مثله من باب المفرد المضاف؛ إذ (اليد) مفرد، وقد

(١) نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد (٤١٤).

أضيف إلى الضمير، والمفرد إذا أضيف فإنه يفيد العموم، وبذا يكون قوله: ﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ﴾ شاملًا لكل يدٍ ثابتة لله تعالى، وليس معارضًا نصوص إثبات اليدين.

وأما قوله تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا﴾ [يس:٧١] فيذهب فيه إلى أحد أمرين:

الأول: أن يقال: إن بعض أهل العلم ذهب إلى أن أقل الجمع اثنان، وحينئذ فلا إشكال في إطلاق الأيدي على اليدين، ومما استدلوا به على أن أقل الجمع اثنان قوله تعالى: ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗا﴾ [البقرة:٣٨] فالأمر ورد بلفظ الجمع، والمأمور اثنان: آدم، وحواء.

الثاني: أن يقال: إن المراد بهذا الجمع التعظيم، فاليدان ذكرتا بلفظ الجمع إظهارًا لعظمتهما.

ثم إن من المهم أن نتنبه للفرق بين أمرين:

أحدهما: أن يسند الفعل للفاعل، ويعدى الفعل إلى اليد بحرف الباء، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥].

فـ(خلقتُ): فعل وفاعل، وعُدِّي الفعل الذي هو (الخلق) إلى اليدين بحرف الباء (بيدي).

وهذا الأسلوب يفيد أن الفعل وقع باليد، كما تقول: (كتبتُ بالقلم) فيفيد قولك هذا أن الكتابة وقعت بواسطة القلم.

والثاني: أن يسند الفعل إلى اليد، كما في قوله تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا﴾ [يس:٧١]، فإن هذا يراد به إضافة الفعل إلى الذات المتصفة باليدين، فيكون المراد إضافة الفعل وهو هنا (الخلق) لله تعالى، ولو كان المراد بهذه الآية أن الخلق كلهم خلقهم الله بيديه لما كان لآدم مزية على غيره من الخلق.

قال شيخ الإسلام: (فإن الفعل قد يضاف إلى يد ذي اليد، والمراد الإضافة إليه)(١) أي: إلى صاحب اليد.

ومن ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾ [الروم:٤١].

فأضيف الفعل إلى أيدي الناس، والمراد إضافته إليهم، أي: بما كسبوا.

ثالثا: في رد بعض شبه الجهمية:

زعمت الجهمية أن إثبات اليدين لله تعالى يلزم منه تشبيه الله تعالى بخلقه، فطفقوا يحرفون النصوص المثبتة لهذه الصفة العظيمة، ومن ذلك أنهم زعموا أن المراد باليد المضافة لله تعالى في النصوص القدرة أو النعمة، وقالوا: إن اليد في اللغة تطلق، ويراد بها النعمة، كما في قول أبي طالب لما فقد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

يَا رَبِّ رُدَّ رَاكِبِي مُحَمَّدَا ... يَا رَبِّ رُدَّهُ وَاصْطَنِعْ عِنْدِي يَدَا

وتطلق ويراد بها القوة، كما في قوله: ﴿بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾ [البقرة:٢٣٧]، إذ النكاح كلام يقال، فيكون المراد بالآية: أنه مقتدر على عقدة النكاح.

(١) بيان تلبيس الجهمية (٥/ ٤٨٢).

وما قالوه باطل من وجوه كثيرة، أكتفي منها بما يلي:

أولًا: أن إثبات اليدين لله تعالى لا يستلزم تشبيهه بخلقه؛ إذ اليد المضافة لله لائقة بكماله وقوته، واليد المضافة للمخلوق لائقة بنقصه وضعفه، ولا يلزم من الاتحاد بالاسم الاتحاد بالكيفية، وهذا ظاهر في المخلوقات، فيد الإنسان مثلًا غير يد الفرس في الكيفية مع اتحادهما في اسم اليد، فإذا كان هذا التباين في الكيفية بين المخلوق والمخلوق، فكيف به بين الخالق جل ثناؤه والمخلوق.

ثانيًا: أن إطلاق اليد على القدرة والنعمة صحيح، ولكن لا يصار إليه إلا مع وجود القرينة الدالة عليه، وهذا ما لا وجود له في النصوص المثبتة لصفة اليدين لله تعالى، يوضحه:

ثالثًا: (أن لفظ اليدين بصيغة التثنية لم يستعمل في النعمة ولا في القدرة؛ لأن من لغة القوم استعمال الواحد في الجمع، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ [العصر:٢]، ولفظ الجمع في الواحد كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ [آل عمران:١٧٣]، ولفظ الجمع في الاثنين كقوله: ﴿صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم:٤]. أما استعمال لفظ الواحد في الاثنين، أو الاثنين في الواحد فلا أصل له؛ لأن هذه الألفاظ عدد وهي نصوص في معناها لا يتجوز بها، ولا يجوز أن يقال: عندي رجل، ويعني رجلين، ولا عندي رجلان، ويعني به الجنس؛ لأن اسم الواحد يدل على الجنس والجنس فيه شياع، وكذلك اسم الجمع فيه معنى الجنس، والجنس يحصل بحصول الواحد.

فقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ لا يجوز أن يراد به القدرة؛ لأن القدرة صفة واحدة، ولا يجوز أن يعبر بالاثنين عن الواحد.

ولا يجوز أن يراد به النعمة؛ لأن نعم الله لا تحصى، فلا يجوز أن يعبر عن النعم التي لا تحصى بصيغة التثنية)(١).

رابعًا: إذا كانت اليدان في قوله تعالى: ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] بمعنى: القدرة، فأي مزية لآدم على باقي الخلق؛ إذ الخلق كلهم مخلوقون بقدرة الله تعالى، ومن هنا كان الجهم وأتباعه أعق الناس لأبيهم آدم؛ إذ نفوا عنه هذه المنقبة العظيمة، وهي اختصاصه بأن الله تعالى خلقه بيده، قال الدارمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (ثم إنا ما عرفنا لآدم من ذريته ابنا أعق ولا أحسد منه(٢)، إذ ينفي عنه أفضل فضائله وأشرف مناقبه، فيسويه في ذلك بأخس خلق الله؛ لأنه ليس لآدم فضيلة أفضل من أن الله خلقه بيده من بين خلائقه، ففضله بها على جميع الأنبياء والرسل)(٣).



---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٣٦٥).

(٢) الضمير هنا عائد على المريسي، وهو من الدعاة لمذهب جهم.

(٣) نقض الدارمي (٩٣).


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

وقل ينزِلُ الجبارُ في كل ليلــةٍ بلا كيف جلَّ الواحدُ المتمــدِّحُ

إلى طبقِ الدنيا يمُّن بفضلــه فتفرجُ أبــوابُ السماءِ وتُفْتَــحُ

يقولُ ألا مُسْتَغْفِرٌ يلقَ غافــرًا ومُسْتَمْنِحٌ خيرًا ورزْقًا فيمنــحُ

روى ذاك قـومٌ لا يُـردُّ حديثهــمْ ألا خاب قومٌ كذَّبُوهُم وقُبِّحُــوا

الكلام عليها من وجهين:

الأول: في شرح بعض ألفاظها:

(الجبار): اسم من أسماء الله تعالى، ذكر في القرآن مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر:٢٣].

وله ثلاثة معان:

الأول: القاهر لكل شيء، فالمخلوقات كلها تحت ملكه وتصرفه.

الثاني: الذي يجبر قلوب المنكسرين، ويغني الفقراء والمساكين، ويشفي المرضى، والمصابين...إلخ.

الثالث: العلي فوق كل شيء.

وقد نظم ابن القيم هذه المعاني الثلاثة بقوله:

وكذلك الجبَّار مـن أوصافِـهِ والجَــبْرُ في أوصـافِـهِ نوعـانِ

جبرُ الضعيفِ وكل قلبٍ قد غدا ذا كَسْـرةٍ فـالجبرُ منـــه دانِ

والثاني جبرُ القهرِ بالعزِّ الذي لا ينبغي لـسواهُ مـن إنســانِ

وله مسمىً ثالثٌ وهو العلوْ ... وُ فليس يدنو منه من إنسانِ

من قولهم جبارةٌ للنَّخْلةِ الـ ... ـعُليا التي فاتت لكل بنان

(بلا كيف): لا نسأل عن نزوله بكيف، ولا نُدرك كيفية نزوله، ولا يعني هذا نفي الكيفية؛ إذ معتقد أهل السنة إثبات الكيفية، لكنهم ينهون عن السؤال عنها، وينفون العلم بها.

(جل): عظم قدره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

(الواحد): اسم من أسمائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف:٣٩].

وهو دال على وحدانيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وتفرده بصفات الكمال.

(المتمدح): الذي يحب أن يمدح.

(طبق الدنيا): السماء الدنيا، ونعتت بالدنيا؛ لقربها من الأرض، وسميت طبقًا؛ لأن الطبق: الغطاء، والسماء الدنيا غطاء للأرض.

(يمن بفضله): يعطي ويحسن، ويتفضل على عباده.

(تفرج): تشق وتفتح، لنزول المنح والعطايا.

(ألا): أداة استفتاح.

(مستغفر): طالب للغفران.

(يلق): جواب الشرط مجزوم، والتقدير: ألا مستغفر إن يستغفر يلق غافرًا.

(غافرًا): الله الغفور الرحيم.

(مستمنح): طالب المنح، وهو العطاء.

(رزقا): (الرِّزق: اسْم لكل مَا ينْتَفع بِهِ الْخلق)[١].

(فيمنح): فيعطى حاجته.

(خاب): خسر.

(قبحوا): نسبوا إلى القبح، وهو ضد الحسن.

الوجه الثاني: في بيان معنى الأبيات الأربعة:

يوصي المصنف في هذه الأبيات باعتقاد ثبوت نزوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كل ليلة بكيفية نؤمن بها، ونَنْهى عن السؤال عنها، ونَنفي العلم بها، وأن أبواب السماء تفتح عند نزوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لنزول المنح والعطايا، وبيَّنَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن هذا الاعتقاد ثابت عن الثقات الذين يقبل حديثهم ولا يرد، ثم دعا بالخيبة والخسران على من كذَّبهم.

وإثبات النزول لله تعالى (قد استفاضت به السنة عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واتفق سلف الأمة وأئمتها وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول)[٢].

ومن الأحاديث المثبتة له قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا** تَبَارَكَ وَتَعَالَى **كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟**»[٣].

---

(١) تفسير السمعاني (١/ ٤٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٢٢).

(٣) رواه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨).

وأما قوله: (فتفرج أبواب السماء وتفتح) فدليله قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْبَاقِي، يَهْبِطُ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ **إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَهُ، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى سُؤْلَهُ؟ فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ**»(١).

ولم تسلم أحاديث صفة النزول أيضًا من التحريف والتعطيل، إذ نفت الجهمية والمعتزلة والأشاعرة نزول الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقالوا: إن المراد نزول أمره، أو رحمته، أو ملك من ملائكته، وقد بين أهل العلم فساد هذا القول، وعدُّوه تحريفًا، قال الدارمي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (فادعى المعارض أن الله لا ينزل بنفسه إنما ينزل أمره ورحمته...، فيقال لهذا المعارض: وهذا أيضًا من حجج النساء والصبيان، ومن ليس عنده بيان، ولا لمذهبه برهان؛ لأن أمر الله ورحمته ينزل في كل ساعة ووقت وأوان، فما بال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحد لنزوله الليل دون النهار؟!

ويوقت من الليل شطره أو الأسحار؟!

أفبأمره ورحمته يدعو العباد إلى الاستغفار؟

أو يقدر الأمر والرحمة أن يتكلما دونه فيقولا: هل من داع فأجيب؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فأعطي؟

فإن قررت مذهبك لزمك أن تدعي أن الرحمة والأمر اللذين يدعوان إلى الإجابة والاستغفار بكلامهما دون الله.

---

(١) رواه أحمد (٣٦٧٣).

هذا محال عند السفهاء، فكيف عند الفقهاء؟! وقد علمتم ذلك ولكن تكابرون)[١].

وقال أيضًا: (ما كان أمره وسلطانه يتكلم بمثل هذا ويدعو الناس إلى استغفاره وسؤاله دون الله، ولا الملائكة يدعون الناس إلى إجابة الدعوة، وإلى المغفرة منها لهم، وإلى إعطاء السؤال؛ لأن الله تعالى ولي ذلك دون سواه.

وأخرى أن أمره وملائكته ورحمته وسلطانه دائبًا ينزل آناء الليل وآناء النهار، وفي كل ساعة، لا يفتر ولا ينقطع، فما بال ثلث الليل خص بنزوله ورحمته وأمره من بين أوقات الليل والنهار؟ حتى وقت رسول الله ﷺ لذلك وقتًا آخر، فقال: «**إلى أن ينفجر الفجر**».

ففي دعواك: تنزل رحمته على الناس في ثلث الليل، فإذا انفجر الفجر رفعت في دعواك، هذا والله تفسير محال، وتأويل ضلال، يشهد عليه ظاهر لفظ الحديث بالإبطال)[٢].

والنافون لهذه الصفة هم المرادون بقول الناظم: (ألا خاب قومٌ كذبوهم وقبحوا)، فإن نافي الصفات إما أن يردوا النصوص المثبتة لها بتكذيب رواتها أو غير ذلك من الدعاوى، أو يحرفوها، أو يعطلوها، وكتبهم طافحة بهذا، وأنا أذكر لك مثالًا واحدًا؛ لتقف على ردهم النصوص وتحريفها بنفسك، فليس من رأى كمن سمع.

(١) نقض الدارمي على الجهمي العنيد (٢١٤).
(٢) المصدر السابق (٤٩٥).

جاء في (التذكرة) للقرطبي قوله: (وأما قوله في الحديث: «**حتى ينتهي إلى السماء التي فيها الله تعالى**»...، فالمعنى أمر الله وحكمه...، وقد كنت تكلمت مع بعض أصحابنا القضاة ممن له علم ونظر، ومعنا جماعة من أهل النظر فيما ذكر أبو عمر بن عبد البر من قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه:٥]، فذكرت له هذا الحديث، فما كان منه إلا أن بادر إلى عدم صحته، ولعن رواته، وبين أيدينا رطب نأكله، فقلت له: الحديث صحيح خرجه ابن ماجه في السنن، ولا ترد الأخبار بمثل هذا القول، بل تتأول، وتحمل على ما يليق من التأويل[(١)]، والذين رووا لنا الصلوات الخمس وأحكامها، فإن صدقوا هنا صدقوا هناك، وإن كذبوا هناك ولا تحصل الثقة بأحد منهم فيما يرويه)[(٢)].

فانظر عصمك الله بحبله كيف أن القاضي رد الحديث؛ لاشتماله على صفة لله تعالى، وكيف أن القرطبي بعد أن بين له صحة الحديث، أرشده لما يسمونه تأويلًا، وهو في الحقيقة عين التحريف.

وكان الواجب عليهما أن يجريا الحديث على ظاهره، ويثبتا ما أثبته الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لربه، ولكنَّ القوم قدَّموا ما وصلوا إليه بعقولهم من قواعد هم فيها مختلفون على كلام رب العالمين الذي ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ

---

(١) وقد سبق تأويله بالأمر والحكم.

(٢) التذكرة (٢٢٦).

﴿يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢]، وعلى كلام رسوله الأمين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي لا ينطق عن الهوى ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم:٤].

هذا، وقد ذكر اللقاني في (جوهرة التوحيد)، قاعدة القوم في صفات الله، حيث قال:

وكل نصٍّ أوهم التشبيها أوِّلهُ أو فوض ورُمْ تنزيها

وبذا تعلم أن تسميتها بـ(جوهرة التعطيل) أولى وأحرى.

فالله أسأل - وقد وفقنا إلى ما عليه السلف من إثبات ما جاء عن الله على مراد الله، وما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله - أن يديم علينا حفظه من المناهج المبتدعة، ويزيدنا هدى وتوفيقًا.




تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

وقلْ إنَّ خيرَ النَّاسِ بعدَ محمـدٍ وزيـراهُ قِدْمًا ثمَّ عثمانُ أرجَـحُ

ورابِعُهُم خيرُ البريَّةِ بعـدَهُـم عليٌّ حليفُ الخيرِ بالخيرِ مُنْجِـحُ

الكلام عليهما من وجهين:

الوجه الأول: في شرح بعض ألفاظهما:

(وزيـراه): مثنى وزير، و(الوزير في اللغة اشتقاقه من الوزر، والوزر الجبل الذي يعتصم به لينجو من الهلاك، وكذلك وزير الخليفة معناه الذي يعتمد على رأيه في أموره)[(١)]، والمراد بهما هنا: أبوبكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وقد جاء وصفهما بهذا الوصف فيما روي عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ لَهُ وَزِيرَانِ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ وَوَزِيـرَانِ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، فَأَمَّا وَزِيرَايَ مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ فَجِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ، وَأَمَّا وَزِيرَايَ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ فَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ**»[(٢)].

(قدمًا): (اسم من القدم، جعل اسمًا للزمان)[(٣)]، والمعنى: أنهما وزيراه من أول الدعوة.

(أرجح): أفعل تفضيل، أي: أن عثمان أرجح بعدهما في الفضل.

(البرية): الخَلْق.

(حليف الخير): كل شيءٍ لَزِمَ شيئًا لم يُفارقْه فهو حَليفُه، فيعني هنا: أنه ملازم للخير.

(منجح): من النُّجْح، وهو: الظفر بالحوائج.

---

(١) تهذيب اللغة (١٣/ ١٦٦).

(٢) رواه الترمذي (٣٦٨٠)، وضعفه الألباني.

(٣) معجم ديوان الأدب (١/ ١٩٤).

الوجه الثاني: في بيان معنى البيتين:

بين المصنف في هذين البيتين أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها: أبو بكر، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان، ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين، وسأفصل فيما ذَكَرَ من خلال ما يلي:

أولًا: في ذكر بعض فضائل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذكر الاتفاق على أنه خير الأمة بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

١- قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠].

قال ابن حجر: (المراد بصاحبه أبو بكر بلا نزاع)[(١)].

قال شيخ الإسلام مبينًا دلالة هذه الآية على فضل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فالفضيلة كونه هو الذي خرج مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه الحال، واختص بصحبته، وكان له كمال الصحبة مطلقًا، وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾، وما يتضمنه ذلك من كمال موافقته للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومحبته وطمأنينته، وكمال معونته للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وموالاته، ففي هذه الحال من كمال إيمانه، وتقواه ما هو الفضيلة)[(٢)].

٢- قال الله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل:١٧-٢١].

---

(١) الإصابة (٤/ ١٤٨).

(٢) منهاج السنة (٨/ ٤٦٣).

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (قد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، حتى إن بعضهم حكى الإجماع من المفسرين على ذلك، ولا شك أنه داخل فيها، وأولى الأمة بعمومها، فإن لفظها لفظ العموم، وهو قوله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ [الليل:١٧-١٩]، ولكنه مقدم الأمة وسابقهم في جميع هذه الأوصاف، وسائر الأوصاف الحميدة؛ فإنه كان صديقًا تقيًا كريمًا جوادًا بذالًا لأمواله في طاعة مولاه، ونصرة رسول الله، فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم، ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها، ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل؛ ولهذا قال له عروة بن مسعود - وهو سيد ثقيف - يوم صلح الحديبية: «أما والله لولا يد لك كانت عندي لم أجزك بها لأجبتك».

وكان الصديق قد أغلظ له في المقالة، فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل، فكيف بمن عداهم؟ ولهذا قال: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل:١٩-٢١])[١].

٣- عن أبي بكرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (كنتُ معَ النبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الغارِ، فرأيتُ آثارَ المشركينَ، قلتُ: يا رسولَ اللهِ، لو أنَّ أحَدَهُم رفع قدَمَهُ رآنا قالَ: **«اسكُتْ يا أبا بكرٍ، ما ظنُّكَ باثنينِ اللهُ ثالِثُهما؟»**)[٢].

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٢٢).

(٢) رواه البخاري (٤٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨١).

قال ابن العربي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (وهذه مرتبة عظمى، وفضيلة شماء، لم يكن لبشر أن يخبر عن الله سبحانه أنه ثالث اثنين، أحدهما أبو بكر، كما أنه قال مخبرًا عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبي بكر ثاني اثنين)(١).

٤- عن أبي سعيد الخدري قال: (خطبَ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس، وقال: **«إنّ الله سبحانه خيَّرَ عبدًا بيْنَ الدُّنيا وبيْن ما عِنده، فاختارَ ذلك العبدُ ما عِندَ الله»**، قال: فبكى أبو بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عبد خُير، فكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا، فقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إنَّ من أَمَنِّ الناسِ عليَّ في صُحبته وماله أبا بكرٍ، ولو كنت متخذًا خليلًا غير ربي لاتَّخذتُ أبا بكرٍ، ولكنْ أُخوَّةُ الإسلامِ ومودَّتُه لا يَبقَيَنَّ في المسجد بابٌ إلا سُدَّ، إلا بابَ أبي بكر»**)(٢).

دل هذا الحديث على فضل أبي بكر من وجوه:

الأول: عظيم علمه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وشهيد هذا هنا كونه علم أن المراد بالعبد الذي خير هو رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد بيَّن أبو سعيد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن أبا بكر أعلم الصحابة إذ قال: (وكان أبو بكر أعلمنا).

قال ابن بطال في فوائد الحديث: (إن أبا بكر أعلم الصحابة؛ لأن أبا سعيد شهد له بذلك بحضرة جماعتهم، ولم ينكر ذلك عليه أحد، ويدل على صحة ذلك مقامه بعد موت النبى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووقت ارتداد العرب على

---

(١) أحكام القرآن (٢/ ٥١٢).

(٢) رواه البخاري (٣٩٠٤)، ومسلم (٢٣٨٢).

بديهة منه دون أن يطيش له جنان، أو يختلج له لسان، وشدة نفسه وثبات قدمه، ولذلك حلف أبو هريرة بالله الذي لا إله إلا هو: لولا أبو بكر الصديق ما عُبد الله)[١].

الثاني: ما جاء في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إنَّ من أَمَنِّ الناسِ عليَّ في صُحبته وماله أبا بكرٍ»**.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (قال العلماء معناه أكثرهم جودًا وسماحةً لنا بنفسه وماله، وليس هو من المن الذي هو الاعتداد بالصنيعة؛ لأنه أذى مبطل للثواب، ولأن المنة لله ولرسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قبول ذلك وفي غيره)[٢].

الثالث: ما جاء في قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ولو كنت متخذًا خليلًا غير ربي؛ لاتَّخذتُ أبا بكرٍ، ولكنْ أُخوَّةُ الإسلامِ ومودَّتُه»**.

قال ابن حجر: (منقبة عظيمة لأبي بكر لم يشاركه فيها أحد)[٣].

الرابع: ما جاء في قوله: «لا يَبقَيَنَّ في المسجد بابٌ إلا سُدَّ، إلا بابَ أبي بكر».

قال الخطابي: (وفي أمره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسد الأبواب الشارعة إلى المسجد غير بابه اختصاص شديد له، وأنه أفرده بأمر لا يشاركه فيه أحد، وأول ما يصرف التأويل فيه الخلافة)[٤].

---

(١) شرح صحيح البخاري (٢/ ١١٥).
(٢) المنهاج (١٥/ ١٥٠).
(٣) فتح الباري (٧/ ١٤).
(٤) بواسطة فتح الباري لابن رجب (٣/ ٣٨٣).

ولهذه الفضائل وغيرها مما جاء في القرآن والسنة اتفق أهل السنة على أن أبا بكر خير هذه الأمة بعد نبيها، بل إنه كما قال ابن القيم: (أفضل الخلق بعد الأنبياء والمرسلين، وأفضل من الملائكة عند أهل السنة)[(١)].

ثانيًا: في ذكر بعض فضائل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأنه يلي أبا بكر في الفضل اتفاقًا.

١- عن ابنِ عمرَ قالَ: سمعتُ رسولَ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ:

«بيْنا أَنا نائمٌ أُتِيتُ بقَدَحِ لَبَنٍ فشَرِبتُ، حتَّى إِني لأَرى الرَّيَّ يَجري في أَظْفاري، ثم أَعطيتُ فَضْلي عمرَ بنَ الخطابِ»، قالوا: فما أَوَّلتَهُ يا رسولَ اللهِ؟ قالَ: **«العِلمَ»**[(٢)].

قال ابن حجر: (ووجه التعبير بذلك من جهة اشتراك اللبن والعلم في كثرة النفع، وكونهما سببا للصلاح، فاللبن للغذاء البدني، والعلم للغذاء المعنوي.

وفي الحديث فضيلة عمر...،والمراد بالعلم هنا: العلم بسياسة الناس بكتاب الله، وسنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

واختص عمر بذلك؛ لطول مدته بالنسبة إلى أبي بكر، وباتفاق الناس على طاعته بالنسبة إلى عثمان، فإن مدة أبي بكر كانت قصيرة، فلم يكثر فيها الفتوح التي هي أعظم الأسباب في الاختلاف، ومع ذلك فساس عمر فيها

(١) مختصر الصواعق (١/ ٢٤٩).
(٢) رواه البخاري (٣٦٨١)، ومسلم (٢٣٩١).

مع طول مدته الناس بحيث لم يخالفه أحد، ثم ازدادت اتساعا في خلافة عثمان، فانتشرت الأقوال، واختلفت الآراء، ولم يتفق له ما اتفق لعمر من طواعية الخلق له، فنشأت من ثَم الفتن، إلى أن أفضى الأمر إلى قتله، واستخلف علي فما ازداد الأمر إلا اختلافًا والفتن إلا انتشارًا)[(١)].

٢- عن سعدِ بنِ أبي وقاصٍ قالَ: (استأذنَ عمرُ بنُ الخطابِ على رسولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعندَهُ نِسْوةٌ مِن قريشٍ، يُكَلِّمْنَهُ، ويَسْتكْثِرْنَهُ، عالِيَةً أصواتُهُنَ، فلما استأذَنَ عمرُ قُمْنَ يبتدرن الحجابَ، فأذِنَ لهُ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يضحَكُ، فقالَ عمرُ: أضحَكَ اللهُ سِنَّكَ يا رسولَ اللهِ، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عجبتُ مِن هؤلاءِ اللَّاتي كُنَّ عندي، فلما سَمِعْنَ صوتَكَ ابتَدَرْنَ الحِجابَ**» قالَ عمرُ: فأنتَ يا رسول الله أحقُّ أن يَهَبْنَ، ثم قالَ: أي عَدُوَّاتِ أنْفُسِهن، أتَهَبْنَني ولا تَهَبْنَ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! قُلْنَ: نعم؛ أنتَ أغلظُ وأفظ مِن رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«**والذي نفسي بيدهِ ما لَقِيَكَ الشيطانُ قط سالِكًا فجًا إلا سَلَكَ فجًا غيرَ فجِّكَ**»)[(٢)].

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (فيه فضيلة عظيمة لعمر تقتضي أن الشيطان لا سبيل له عليه، لا أن ذلك يقتضي وجود العصمة؛ إذ ليس فيه إلا فرار الشيطان منه أن يشاركه في طريق يسلكها، ولا يمنع ذلك من وسوسته له

(١) فتح الباري (٧/ ٤٦).
(٢) رواه البخاري (٣٢٤٩)، ومسلم (٢٣٩٦).

بحسب ما تصل إليه قدرته...، قال النووي: هذا الحديث محمول على ظاهره وأن الشيطان يهرب إذا رآه.

وقال عياض: يحتمل، أن يكون ذاك على سبيل ضرب المثل، وأن عمر فارق سبيل الشيطان وسلك طريق السداد فخالف كل ما يحبه الشيطان. والأول أولى)[(١)].

٣- عن عمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ على جيشِ ذاتِ السلاسلِ، فأتَيْتُهُ، فقلتُ: أيُّ الناسِ أحب إليكَ؟ قالَ: «**عائِشةُ**»، فقلتُ: مِن الرجالِ؟ فقالَ: «**أبوها**»، فقلتُ: ثمَّ من؟ قالَ: «**ثم عمرُ بنُ الخطابِ**»، فعَدَّ رجالا[(٢)].

يدل هذا الحديث على فضل عمر، وأنه يلي أبا بكر في المنزلة، وعلى هذا اتفاق أهل السنة، قال النووي: (اتفق أهل السنة على أن أفضلهم أبوبكر، ثم عمر)[(٣)].

وقال شيخ الإسلام: (وقد اتفق أهل السنة والجماعة على ما تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال: «خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا»)[(٤)].

---

(١) فتح الباري (٧/ ٤٧).
(٢) رواه البخاري (٤٣٥٨)، ومسلم (٢٣٨٤).
(٣) المنهاج (١٥/ ١٤٨).
(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ٤٠٦).

ثالثًا: في ذكر بعض فضائل عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، واستقرار مذهب أهل السنة على أنه افضل الصحابة بعد الشيخين.

١- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: (كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مضطجعًا في بيتي، كاشفًا عن فخذيه، أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له، وهو على تلك الحال، فتحدث، ثم استأذن عمر، فأذن له، وهو كذلك، فتحدث، ثم استأذن عثمان، فجلس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسوَّى ثيابه، فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر، فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عمر، فلم تهتش له ولم تباله، ثم دخل عثمان، فجلست وسويت ثيابك فقال: **«ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»**)[(١)].

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (فيه فضيلة ظاهرة لعثمان وجلالته عند الملائكة)[(٢)].

٢- عن أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دخل حائطًا، وأمرني بحفظ باب الحائط، فجاء رجل يستأذن، فقال: **«ائذن له وبشره بالجنة»**، فإذا أبو بكر، ثم جاء آخر يستأذن، فقال: **«ائذن له وبشره بالجنة»**، فإذا عمر، ثم جاء آخر يستأذن، فسكت هنيهة، ثم قال: **«ائذن له وبشره بالجنة على بلوى ستصيبه»**، فإذا عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(٣)].

في الحديث فضل أبي بكر وعمر وعثمان، وأنهم من أهل الجنة.

---

(١) رواه مسلم (٢٤٠١).

(٢) المنهاج (١٥/ ١٦٩).

(٣) رواه البخاري (٣٦٧٤)، ومسلم (٢٤٠٣).

٣- عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: (كنا في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا نعدل بأبي بكر أحدًا، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لا نفاضل بينهم)[(١)].

فيه أن عثمان أفضل الصحابة بعد أبي بكر وعمر، وقد وجد خلاف في هذا بين أهل السنة إلا أنهم اتفقوا فيما بعد على ما في هذا الأثر، من كون عثمان أفضل الصحابة بعد الشيخين، قال شيخ الإسلام: (وكما أجمعت الصحابة على تقديم عثمان في البيعة، مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر؛ أيهما أفضل؟

- فقدم قوم عثمان، وسكتوا، أو ربعوا بعلي.
- وقدم قوم عليًّا.
- وقوم توقفوا.

لكن استقر أمر أهل السنة على: تقديم عثمان، ثم علي)[(٢)].

ثم بيَّن شيخ الإسلام أمرًا مهمًا، وهو أن تقديم علي على عثمان في الأفضلية ليس من المسائل التي يضلل بها المخالف، بخلاف تقديم علي على عثمان في الخلافة، فقال:

(وإن كانت هذه المسألة - مسألة عثمان وعلي - ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة.

لكن المسألة التي يضلل المخالف فيها: مسألة الخلافة.

---

(١) رواه البخاري (٣٦٥٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٣).

وذلك بأنهم يؤمنون: بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم.

ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة؛ فهو أضل من حمار أهله)[(١)].

رابعًا: في ذكر بعض فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

١- عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، قال: (كان علي رضي الله عنه تخلف عن النبي ﷺ في خيبر، وكان به رمد، فقال: أنا أتخلف عن رسول الله ﷺ، فخرج علي فلحق بالنبي ﷺ، فلما كان مساء الليلة التي فتحها في صباحها، فقال رسول الله ﷺ: «**لأعطين الراية غدًا** - أو قال: ليأخذن بالراية - **غدًا رجلٌ يحبه الله ورسوله** -أو قال: يحب الله ورسوله- **يفتح الله على يديه**»، فإذا نحن بعلي وما نرجوه، فقالوا: هذا علي، فأعطاه رسول الله ﷺ، ففتح الله عليه)[(٢)].

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: («يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» أراد بذلك وجود حقيقة المحبة، وإلا فكل مسلم يشترك مع علي في مطلق هذه الصفة.

وفي الحديث تلميح بقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١]، فكأنه أشار إلى أن عليًا تام الاتباع لرسول الله ﷺ حتى اتصف بصفة محبة الله له)[(٣)].

(١) المصدر السابق.

(٢) رواه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (٢٤٠٧).

(٣) فتح الباري (٧/ ٧٢).

٢- عن سعدٍ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ خرجَ إلى تَبوكَ، واسْتَخْلَفَ عليًّا، فقالَ: أتُخَلِّفُني في الصبيانِ والنساءِ؟ قال:

«ألَا تَرْضى أنْ تكونَ مِنِّي بمنزلَةِ هارونَ مِن موسى؛ إلاَّ أنَّهُ ليسَ نبيٌّ بعدي؟»[١].

وهذه فضيلة جليلة، أن يكون رضي الله عنه للنبي ﷺ كهارون من موسى عليهما السلام.

٣- قوله ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: **«أنت مني، وأنا منك»**[٢].

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: («**أنت مني، وأنا منك**» أي: في النسب والصهر والمسابقة والمحبة وغير ذلك من المزايا ولم يرد محض القرابة)[٣].

وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه هو خير الصحابة بعد عثمان رضي الله عنه، وقد سبق نقل الاتفاق على ذلك.



(١) رواه البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).
(٢) رواه البخاري (٢٥٥٣).
(٣) فتح الباري (٧/ ٥٠٧).

وإنَّهُمُ والرَّهطُ لا رَيبَ فيــهــمُ	على نُجُبِ الفردوسِ بالنُّورِ تسرحُ
سعيدٌ وسعْدٌ وابنُ عوْفٍ وطلحـةُ	وعـامـرُ فِهْـرٍ والـزُّبـيرُ المُمَـــدَّحُ

الكلام عليهما من وجهين:

الوجه الأول: في شرح بعض ألفاظهما.

(وإنهم): الضمير عائد على الخلفاء الأربعة.

(والـرهـط): عشيرة الرجل، والمراد بهم الستة المذكورون في البيت الثاني.

(لا ريب): لا شك.

(نجب): جمع نجيب: وهو أكرم المال وأنفسه، والمراد أنهم يطوفون في الجنة على أجود الإبل والخيل.

(الفردوس): (روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى عن النبي ﷺ أنه قال: «**جِنانُ الفردوس أربع، ثنتان من ذهب حليتهما وآنيتهما وما فيهما، وثنتان من فضة حليتهما وآنيتهما وما فيها، وليس بين القوم وبين أن ينظروا إِلى ربهم إِلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**».

وروى عبادة بن الصامت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، الفردوس أعلاها، ومنها تفجَّر أنهار الجنة، فإذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس**».

قال أبو أمامة: الفردوس سُرّة الجنة.

قال مجاهد: الفردوس: البستان بالرومية.

وقال كعب، والضحاك: جنات الفردوس: جنات الأعناب

وقال ثعلب: كل بستان يحوّط عليه فهو فردوس، قال عبد الله بن رواحة:

في جنان الفردوس ليس يخافون خــروجًــا عـنـهـا ولا تحـويـلا

وقال أهل اللغة: الفردوس مذكَّر، وإنما أنث في قوله تعالى: ﴿يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون:١١]؛ لأنه عنى به الجنة)[١].

(بالنور تسرح): بمن عليها من أهل النور والضياء تذهب حيث يشاء.

(الممدح): الممدوح جدًّا.

✍ الثاني: في معنى البيتين:

بيَّن المصنف في البيت الأول أن الخلفاء الأربعة، وبقية االعشرة المبشرين بالجنة سيكونون في الفردوس على أفضل أنواع الخيل تسرح بهم حيث يريدون، وقد ذكر في البيت الثاني بقية العشرة المبشرين بالجنة، وهم: سعيد ابن زيد، وسعد بن أبي وقاص، وعبدالرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، وأبو عبيدة عامر بن الجراح الفهري، والزبير بن العوام.

وقد بشرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالجنة في قوله: «**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة،**

(١) زاد المسير مختصرًا (٣/ ١١٣).

وعبدالرحمن بن عوف في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»[1].

وقد بشر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غيرهم من الصحابة بالجنة، كثابت بن قيس بن شماس، وعكاشة بن محصن، ولكن إذا جاء في كلام أهل العلم ذكر العشرة المبشرين بالجنة، فإن المراد بهم هؤلاء الذين ذكرهم المصنف، وإنما خُصُّوا بهذا؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جمعهم في حديث واحد.



(١) رواه الترمذي (٣٧٧٤)، وصححه الألباني.



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

وقُلْ خيرَ قولٍ في الصحابةِ كُلهِمْ ... ولا تكُ طعَّانًا تَعِيبُ وتجـــرَحُ

فقد نطقَ الوحيُ المبينُ بفضلهم ... وفي الفتح آيٌ للصحابة تمـــدحُ

الكلام عليهما من وجهين:

الوجه الأول: في شرح بعض ألفاظهما:

(طعَّانا): على وزن (فعَّال) من الطعن، وهو هنا: الشتم والسب، وصيغة (فعَّال) تأتي للمبالغة، والنسب لأمر من الأمور، فعلى الأول: يكون المراد بالبيت النهي عن المبالغة في ذم الصحابة وشتمهم، ويشكل عليه أن النهي عن المبالغة لا يشمل النهي عن أصل الفعل، وعلى الثاني: يكون المراد بالبيت النهي عن أن ينسب للطعن فيهم بوجه ما، وهذا يشمل النهي عن أصل الفعل، وعليه فحمل (فعَّال) هنا على النسب أولى.

فيكون القول في هذا البيت كالقول في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦].

ففي (تفسير الجلالين): (﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾ أي: بذي ظلم)[(١)].

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (قال المؤلف: «أي: بذي ظلم» إشارة منه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ إلى أن «ظلام» صيغة نسبة، وليست صيغة مبالغة؛ لأن «فعَّال» تأتي للنسبة، كنجار وحداد وخشاب، وما أشبه ذلك، وتأتي للمبالغة، فهنا «ظلام» يتعين أن تكون للنسبة؛ لأنك لو جعلتها للمبالغة لكان المنفي المبالغة

---

(١) تفسير الجلالين (٦٣٦).

في الظلم دون أصل الظلم، والمعلوم أن الله تعالى منفي عنه الظلم أصله والمبالغة فيه، إذًا يتعين أن نقول: إن «ظلام» صيغة نسبة، وليست صيغة مبالغة)[(١)].

(تجرح): تشتم وتسب.

(الوحي): القرآن.

(المبين): (الواضح الجلي، الذي يفصح عن الأشياء المبهمة ويفسرها ويبينها)[(٢)].

(الفتح): سورة الفتح، وسميت بهذا الاسم؛ لقوله تعالى في مطلعها: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح:١].

(آي): جمع آية، وهي لغة: العلامة، واصطلاحًا: طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها.

(تمدح): تثني عليهم.

✍ الوجه الثاني: في بيان معنى البيتين:

نصح المصنف في هذين البيتين بالتزام القول الحسن في الصحب الكرام، وحذر من ذمهم وسبهم الذي هو منهج الخونة اللئام، وبين أن في سورة (الفتح) أكثر من آية مدحهم فيها الملك السلام.

---

(١) التفسير الثمين (١٣/ ٣٨٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٣٦٥).

ومن تلك الآيات: قوله تعالى: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾ [الفتح:١٨].

وقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾ [الفتح:٢٩].



وبالقدَرِ المقـــدورِ أيقنْ فـإنـهُ دِعامةُ عِقدِ الدينِ والدينُ أفيحُ

الكلام عليه من وجهين:

الأول: في شرح بعض ألفاظه.

(وبالقدر المقدور أيقن): سيأتي ذكر معنى القدر لغة، وشرعًا، والمصنف هنا ينصح بالإيمان بالقدر، وأنه (مقدور) أي: صادر عن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مقدَّرًا محكمًا.

(أيقن): اعلم غير شاكٍّ، ولا مرتاب.

(الدعامة): بكسر الدال (عِماد البَيْتِ، والخَشَبُ المَنْصوبُ للتَّعْريشِ)[١].

(العِقْد): بكسر العين القلادة.

(أفيح): واسع.

الثاني: في معنى البيت:

الإيمان بالقدر واجب، لا يصح إيمان أحد إلا به، إذ الإيمان به أحد أركان الإيمان الستة، التي جاءت في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجيبًا عن سؤال جبريل عن الإيمان: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[٢].

والمصنف في هذا البيت بيَّن وجوب الإيمان به، وعظيم منزلته، وسأوجز هنا القول في القضاء والقدر من خلال ما يلي:

---

(١) القاموس المحيط (١١٠٧).

(٢) رواه مسلم (٨).

أولًا: في معنى القضاء والقدر لغة وشرعًا، والعلاقة بين الكلمتين، وبيان أيهما أسبق.

١- في بيان معناهما لغة وشرعًا:

القضاء لغة: القطع، والفصل.

وشرعًا: مشيئته سبحانه، وخلقه للأشياء وفق ما سبق به العلم وجرى به القلم.

والقدر لغةً: التقدير.

وشرعًا: (علمه سبحانه الأشياء قبل كونها، وكتابته لها قبل برئها)[١].

٢- في العلاقة بين الكلمتين:

تتضح العلاقة بينهما (بتقرير أصل، وهو أن من الأسماء ما يكون شاملًا لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه، فإذا قرن ذلك الاسم بغيره، صار دالًا على بعض تلك المسميات، والاسم المقرون به دالٌ على باقيها، وهذا كاسم الفقير والمسكين، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج، فإذا قرن أحدهما بالآخر دل أحد الاسمين على بعض أنواع ذوي الحاجات، والآخر على باقيها)[٢]، فهكذا اسم القضاء والقدر، إن أفرد أحدهما اشتمل على ما يدل عليه الآخر، وإن قرن أحدهما بالآخر اختص القدر بالدلالة على علمه سبحانه بالأشياء قبل كونها، وكتابته لها قبل برئها، واختص القضاء

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٨٢).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ١٠٦).

بالدلالة على مشيئته سبحانه، وخلقه للأشياء وفق ما سبق به العلم، وجرى به القلم.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (القضاء والقدر متباينان إن اجتمعا، ومترادفان إن تفرقا، على حد قول العلماء: هما كلمتان إن اجتمعتا افترقتا، وإن افترقتا اجتمعتا.

فإذا قيل: هذا قدر الله، فهو شامل للقضاء، أما إذا ذكرا جميعًا، فلكل واحد معنى)[(١)].

٣- في بيان أيهما أسبق:

القدر يشمل علم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالشيء قبل وقوعه، وكتابته له، والقضاء يشمل مشيئته، وخلقه لما قدره وكتبه، وبذا يظهر أن القضاء متأخر على القدر، ورجح ذا جمع من أهل العلم، ووضحه الشيخ محمد أمان الجامي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بالمثال، إذ قال: (والقضاء والقدر بمنزلة الثوب الذي يقدره الخياط فهو قبل أن يفصله يقدره، ويزيد ويوسع ويضيق، وإذا فصله فقد قضاه، ولا يمكنه أن يزيد أو ينقص، وذلك مثل القضاء والقدر)[(٢)].

ثانيًا: في بيان اعتقاد أهل السنة بالقدر، وتلخيصه في أربع مراتب:

يؤمن أهل السنة والجماعة بما دلَّ عليه الوحيان في هذا الباب، ويتلخص في المراتب الأربع التالية:

---

(١) شرح الواسطية (٢/ ١٨٨).

(٢) أضواء على طريق الدعوة (١٧).

المرتبة الأولى: أن الله سبحانه، وسع علمه كل شيء، فيعلم ما كان، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف سيكون، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا﴾ [طه:٩٨]، وقال: ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران:٢٩]، وقال: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنعام:٥٩].

المرتبة الثانية: أنه سبحانه كتب في أم الكتاب عنده ما هو كائن إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾ [يونس:٦١].

وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ﴾ [القمر:٥٣].

قال السمعاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (أَي مسطور مَكْتُوب فِي اللَّوْح الْمَحْفُوظ)(١).

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**إن أول ما خلق الله القلم، ثم قال: اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة**»(٢).

المرتبة الثالثة: أنه سبحانه لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بمشيئته، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ

---

(١) تفسير السمعاني (٥/ ٣٢٠).

(٢) رواه أحمد (٢٢٧٠٥).

شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس:٨٢]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الإنسان:٣٠].

المرتبة الرابعة: أن الله سبحانه خالق كل شيء، لا خالق غيره، ولا رب سواه، قال سبحانه: ﴿ أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [الرعد:١٦]، وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر:٣]، وهذا استفهام إنكاري يفيد النفي، أي: لا خالق غير الله.

وبذا تعلم أن كل مقدَّرٍ لابد وأنه معلوم لله تعالى، مكتوب في أم الكتاب، واقع بمشيئته عَزَّوَجَلَّ وخلقه، لا يخرج من ذا شيء من المقدرات، حتى أفعال العباد، حسنها وسيئها، صغيرها وكبيرها.

وهم مع هذا لأفعالهم مختارون، فقد جعل الله عَزَّوَجَلَّ لهم قدرة تامة ومشيئة جازمة، بهما يفعلون، ثم المتقون منهم في جنات خالدون، بما كانوا يعملون، والظالمون في النار يعذبون، جزاءً بما كانوا يكسبون.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تقرير هذا المعنى: (ولكن قد يشكل على الإنسان، كيف يصح أن نقول في فعلنا، وقولنا الاختياري: إنه مخلوق لله عَزَّوَجَلَّ؟.

فنقول: نعم يصح أن نقول ذلك؛ لأن فعلنا وقولنا ناتج عن أمرين:

أحدهما: القدرة.

والثاني: الإرادة.

فإذا كان فعل العبد ناتجًا عن إرادته وقدرته فان الذي خلق هذه الإرادة، وجعل قلب الإنسان قابلًا للإرادة هو الله عَزَّوَجَلَّ، وكذلك الذي خلق فيه القدرة هو الله عَزَّوَجَلَّ، ويخلق السبب التام الذي يتولد عنه المسبَّب، نقول: إن خالق السبب التام خالق للمسبَّب، أي: أن خالق المؤثر خالق للأثر، فوجه كونه تعالى خالقًا لفعل العبد أن نقول: إن فعل العبد، وقوله ناتج عن أمرين هما:

١- الإرادة.

٢- القدرة.

فلولا الإرادة لم يفعل، ولولا القدرة لم يفعل؛ لأنه إذا أراد وهو عاجز لم يفعل؛ لعجزه عن الفعل، وإذا كان قادرًا ولم يرد لم يكن الفعل، فإذا كان الفعل ناتجًا عن إرادة جازمة، وقدرة كاملة، فالذي خلق الإرادة الجازمة، والقدرة الكاملة هو الله، وبهذا الطريق عرفنا كيف يمكن أن نقول: إن الله تعالى خالق لفعل العبد، وإلا فالعبد هو الفاعل في الحقيقة، فهو المتطهر، وهو المصلي، وهو المزكي، وهو الصائم، وهو الحاج، وهو المعتمر، وهو العاصي، وهو المطيع، لكن هذه الأفعال كلها كانت ووجدت بإرادة وقدرة مخلوقتين لله عَزَّوَجَلَّ، والأمر ولله الحمد واضح)[١].

وأحب هنا أن أنقل أبياتًا جميلة للإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تقرير المعتقد الصحيح في القضاء والقدر، وهي قوله:

---

(١) رسالة في القضاء والقدر (٢٦-٢٨).

مـا شـئـتَ كـــانَ وإن لم أشـأْ	ومـا شئتُ إن لم تشأ لم يكــنْ
خـلـقـتَ الـعـبـادَ عـلـى مـا علمتَ	وفي العلم يجـري الفتى والمسنْ
عـلـى ذا مـنـنـتَ وهـــذا خـذلتَ	وهــذا أعـنـتَ وذا لــم تُــعنْ
فـمـنـهـم شـقـيٌ ومـنـهـم سـعيدٌ	ومنهم قبيــحٌ ومنهـم حسـنْ
ومـنـهـــم فـقـيرٌ ومـنـهـم غَـنيٌّ	وكـلٌّ بِـأَعمالـــهِ مُـرتَهَنْ

قال ابن عبد البر مثنيًا على هذه الأبيات: (من أحسن ما قيل من النظم في قدم العلم، وأن ما يكون من خلق الله فقد سبق العلم به، وجف القلم به، وأنه لا يكون في ملكه إلا ما يشاء، لا شاء غيره)[١].



(١) الاستذكار (٨/ ٢٦٥).



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

ولا تنكرنْ جهلًا نكيرًا ومنكرًا ولا الحوضَ والميزانَ إنك تُنْصَحُ

الكلام عليه من وجوه:

الوجه الأول: في شرح بعض ألفاظه.

(تنكرن): تجحدن.

(تنصح): أصل النصح في اللغة: الخلوص، يقال: نصحته، ونصحت له، قال ابن الأثير: (النصيحة: كلمة يعبر بها عن جملة، هي إرادة الخير للمنصوح له، وليس يمكن أن يعبر عن هذا المعنى بكلمة واحدة تجمع معناه غيرها)[1].

الوجه الثاني: في معنى البيت:

ينصح المصنف في هذا البيت بالإيمان بسؤال الملكين منكر ونكير العباد في القبور، والإيمان بالحوض الذي أعطاه الله تعالى نبيه، وسترده أمته، والإيمان بالميزان الذي ينصب يوم القيامة للوزن.

الوجه الثالث: في قوله: (نكيرًا ومنكرا):

يدخل تحته مسألتان:

المسألة الأولى: في دليل تسمية الملكين بهذين الاسمين، وسببها:

١- في تسمية الملكين بهذين الاسمين:

جاءت هذه التسمية في أحاديث اختلف أهل العلم في ثبوتها، منها قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إذا قبر الميت، أو قال: أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المنكر، وللآخر: النكير»**[2].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٦٣).

(٢) رواه الترمذي (١٠٧١).

وتسمية الملكين بهذين الاسمين ثابتة، وإن قيل إنَّ الأحاديث المثبتة لهذه التسمية ضعيفة، وذلك لحصول الاتفاق على هذه التسمية، فقد تتابع العلماء على تسميتهم بهذين الاسمين في كتب المعتقد، ومنها - أي: من تلك الكتب - ما حكى أصحابها الاتفاق على مسائل المعتقد المذكورة فيها، فممن ذكر هذه التسمية الإمام أحمد في (أصول السنة)، حيث قال: (الإيمان بعذاب القبر، وأن هذه الأمة تفتن في قبورها، وتسأل عن الإيمان والإسلام، ومن ربه ومن نبيه، ويأتيه منكر ونكير كيف شاء وكيف أراد)(١).

وقد سئل الإمام أحمد عن هذه التسمية، فقد قال أحمد بن القاسم: قلت: (يا أبا عبدالله، تقر بمنكر ونكير؟ وما يروى في عذاب القبر؟ فقال:سبحان الله! نعم نقر بذلك، ونقوله، قلت: هذه اللفظة، تقول: منكر ونكير هكذا، أو تقول ملكين؟ قال: منكر ونكير، قلت: ليس فيه حديث منكر ونكير، قال: هو هكذا، يعني: أنهما منكر ونكير)(٢).

وممن ذكرها أيضًا ابن بطة العكبري في (الإبانة الصغرى)، حيث قال: (ثم الإيمان بعذاب القبر، وبمنكر ونكير)(٣).

وقد نقل ابن بطة اتفاق العلماء على ما في كتابه من مسائل الاعتقاد، فقال في مقدمته: (ثم على إثر ذلك: شرح السنة من إجماع الأئمة، واتفاق الأمة، وتطابق أهل الملة، فجمعت من ذلك ما لا يسع المسلمين جهله)(٤).

---

(١) أصول السنة (٣١).

(٢) الروح (٥٧).

(٣) الإبانة الصغرى (١٣٤).

(٤) الإبانة الصغرى (٢٣).

ولِمَ أذهب بعيدًا، ولي أن أقول: إن ابن أبي داود نفسه ذكر اتفاق من لقي من أهل العلم، ومن لم يلقَ بحسب ما نقل له عنهم على ما في حائيته من مسائل، وعليه يكون أحد من نقل الاتفاق على تسمية الملكين بمنكر ونكير.

٢- في سبب هذه التسمية:

(هذه التسمية ليس لأنهما منكران من حيث ذواتهما، ولكنهما منكران من حيث إن الميت لا يعرفهما، وليس له بهما علم سابق، وقد قال إبراهيم لأضيافه الملائكة: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الحجر:٦٢]؛ لأنه لا يعرفهم، فهذان منكر ونكير؛ لأنهما غير معروفين للميت)[(١)].

المسألة الثانية: في سؤال الملكين العباد في القبور:

قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم:٢٧].

وقد فسرها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بسؤال الملكين، فعن البراء بن عازب أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، فذلك قوله:** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم:٢٧]»[(٢)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (فأما أحاديث عذاب القبر، ومسألة منكر ونكير فكثير متواترة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)[(٣)].

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٢/ ١٤٤).
(٢) رواه البخاري (٤٦٩٩)، ومسلم (٢٨٧١).
(٣) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨٥).

✍ الوجه الرابع: في مسائل تتعلق بقوله: (والحوض):

المسألة الأولى: في وجوب الإيمان به، ودليل ثبوته:

اتفق أهل السنة على وجوب الإيمان به والأحاديث فيه متواترة على ما بين أهل العلم، قال ابن عبد البر: (الأحاديث في حوضه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ متواترة صحيحة ثابتة كثيرة، والإيمان بالحوض عند جماعة علماء المسلمين واجب، والاقرار به عند الجماعة لازم)[١].

ومن تلك الأحاديث، قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا بَينَ بَيتي وَمِنبري روضَةٌ من رياضِ الجنَّةِ، ومِنبري على حَوضي**»[٢].

وقوله: «**حَوْضي مَسيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أبدًا**»[٣].

وقوله: «**أنا فَرَطُكم علَى الحوْضِ**»[٤].

الثانية: في صفته:

ذكر ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى جملة من الأحاديث المثبتة للحوض، ثم لخص أوصافه المذكورة فيها بقوله: (فقد تلخص من مجموع هذه الأحاديث المتواترة

---

(١) التمهيد (٢/ ٢٩١).

(٢) رواه البخاري (١٨٨٨)، ومسلم (١٣٩١)، قال شيخ الإسلام في (التوسل والوسيلة) (١٥٢): (هذا هو الثابت في الصحيح ولكن بعضهم رواه بالمعنى فقال: قبري. وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال هذا القول لم يكن قد قبر بعدُ صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا لم يحتج بهذا أحد من الصحابة لما تنازعوا في موضع دفنه، ولو كان هذا عندهم لكان نصًا في محل النزاع).

(٣) رواه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢).

(٤) رواه مسلم (٢٢٨٩).

صفة هذا الحوض العظيم، والمورد الكريم، من شراب الجنة، من نهر الكوثر، الذي هو أشدُّ بياضًا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحًا من المسك وهو في غاية الإشباع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر، وأنه ينبت في حال من المسك، ورضراض من اللؤلؤ، فسبحان الخالق الذي لا يعجزه شيء، لا إله إلا هو، ولا معبود سواه)(١).

الثالثة: في مكانه في عرصات القيامة:

قال ابن كثير: (والحوض في العرصات، قبل الصراط، لأنه يختلج عنه ويمنع منه أقوام قد ارتدوا على أعقابهم ومثل هؤلاء لا يجاوزون الصراط...،وقد جاء مصرحًا به أنه في العرصات)(٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين: (زمن الحوض قبل عبور الصراط؛ لأن المقام يقتضي ذلك، حيث إن الناس في حاجة إلى شراب في عرصات القيامة قبل عبور الصراط)(٣).

✍ الوجه الخامس: في مسائل تتعلق بقوله: (والميزان):

المسألة الأولى: في دليل ثبوته:

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧].

(١) النهاية في الفتن والملاحم (١/ ٤١٠).
(٢) النهاية في الفتن والملاحم (١/ ٣٧٧).
(٣) شرح الواسطية (٢/ ١٥٨).

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»**[(١)].

وقال: **«والحمد لله تملأ الميزان»**[(٢)].

واتفق أهل السنة والجماعة على الإيمان بالميزان، قال أبو زرعة، وأبو حاتم الرازيان: (أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا ومصر وشامًا ويمنًا، وكان من مذهبهم...، والميزان حق الذي له كفتان)[(٣)].

المسألة الثانية: في صفته:

الميزان له كفتان ولسان، وعلى هذا اتفاق أهل السنة، قال أبو إسحاق الزجاج: (أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان، ويميل بالأعمال)[(٤)].

وقد دل على إثبات الكفتين حديث البطاقة، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«يصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رءوس الخلائق، فينشر له تسعة وتسعون سجلًا، كل سجل مد البصر، ثم يقول الله عَزَّوَجَلَّ: هل تنكر من هذا شيئًا؟ فيقول: لا، يا رب، فيقول: أظلمتك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا، ثم يقول: ألك عذر، ألك حسنة؟ فيهاب الرجل، فيقول: لا، فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنات، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا عبده**

---

(١) رواه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٢) رواه مسلم (٢٢٣).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٩٧).

(٤) فتح الباري (١٣/ ٥٣٨).

ورسوله، قال: فيقول: يا رب ما هذه البطاقة، مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة»[(١)].

وأما اللسان فلم يذكر في القرآن والسنة، وإنما المعول فيه على الإجماع، وقد ذكر اللالكائي بسنده عن عبد الملك بن أبي سليمان، قال: (ذكر الميزان عند الحسن، فقال: له لسان وكفتان)[(٢)].

وإثبات اللسان للميزان فاش في كتب المعتقد، فمن ذلك:

١- قول البربهاري في (شرح السنة)[(٣)]: (والإيمان بالميزان يوم القيامة، يوزن فيه الخير والشر، له كفتان ولسان).

٢- قول ابن قدامة في (لمعة الاعتقاد)[(٤)]: (والميزان له كفتان ولسان).

٣- قول أبي منصور معمر بن أحمد في وصيته لأصحابه والمسلمين الذي بين أنه جمع فيها ما كان عليه أهل الحديث والأثر، وأهل المعرفة والتصوف من السلف المتقدمين: (وأن الميزان حق له لسان وكفتان)[(٥)].

٤- قول ابن القيم في (النونية):

أفما تصدق أن أعمال العبا	**د تحط يوم العرض في الميزان**
وكذاك تثقل تارة وتخف أخـ	**ـرى ذاك في القرآن ذو تبيان**

(١) سنن ابن ماجه (٤٣٠٠).

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦/ ١٢٤٥).

(٣) شرح السنة (٤٢).

(٤) لمعة الاعتقاد (٣٢).

(٥) الحجة في بيان المحجة (١/ ٢٥٠).

وله لسان كفتاه تقيمه والكفتان إليه ناظرتان

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ شارحًا البيت الثالث: (يعني: له -أي: للميزان- الذي يكون يوم القيامة كفتان تقيمه، وله أيضًا لسان، كيف لسان؟ هل للموازين ألسنة؟ نعم، أرأيتم الميزان سابقًا، الميزان سابقًا عبارة عن حديدة ممدودة في وسطها حديدة مركوزة، هذه الحديدة المركوزة مثبتة بمسمار كالقوس عليها، على هذه الحديدة المنصوبة القائمة الكفتان يمين وشمال، إذا رجحت إحداهما مال اللسان، وظهر إليها، وإذا خفت إحداهما خرج اللسان)(١).

المسألة الثالثة: فيما يوزن بالميزان:

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**»(٢).

وفي حديث البطاقة السابق: «فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، قال: فيقول: يا رب ما هذه البطاقة، مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة»(٣).

---

(١) شرح نونية ابن القيم (٤/ ٥٧٠).

(٢) رواه البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤).

(٣) سنن ابن ماجه (٤٣٠٠).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة. اقرءوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾** [الكهف:١٠٥]»(١).

فدل الحديث الأول على أن الأعمال توزن، والثاني على أن صحائف الأعمال توزن، والثالث على أن العامل يوزن، وبكونها كلها توزن قال جمع من أهل العلم.

قال العلامة حافظ الحكمي: (والذي استظهر من النصوص - والله أعلم - أن العامل، وعمله، وصحيفة عمله كل ذلك يوزن؛ لأن الأحاديث التي في بيان القرآن قد وردت بكل من ذلك، ولا منافاة بينها، ويدل لذلك ما رواه أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عن عبد الله بن عمرو في قصة صاحب البطاقة بلفظ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتى بالرجل، فيوضع في كفة، ويوضع ما أحصي عليه، فيمايل به الميزان، قال: فيبعث به إلى النار، قال: فإذا أدبر إذا صائح من عند الرحمن** عَزَّوَجَلَّ **يقول: لا تعجلوا فإنه قد بقي له، فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله، فتوضع مع الرجل في كفة حتى يميل به الميزان**»(٢).

فهذا الحديث يدل على أن العبد يوضع هو وحسناته وصحيفتها في كفة، وسيئاته مع صحيفتها في الكفة الأخرى، وهذا غاية الجمع بين ما تفرق ذكره في سائر أحاديث الوزن، ولله الحمد والمنة)(٣).

---

(١) رواه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

(٢) رواه البخاري (٢٢).

(٣) معارج القبول (٣/ ١٠٢٥).


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

وقلْ يُخْرِجُ اللهُ العظيمُ بفَضْلــــهِ مِنَ النارِ أجْساداً مِنَ الفحْمِ تُطْرَحُ

على النَّهْرِ في الفِرْدَوْسِ تحيا بمائهِ كَحِبِّ حميلِ السَّيْلِ إذْ جاءَ يطْفَحُ

الكلام عليهما من وجهين:

الوجه الأول: في شرح بعض ألفاظهما.

(من الفحم): بعد ما أصبحوا فحمًا.

(تطرح): ترمى.

(الفردوس): سبق القول فيه.

(حب): جمع (الحبة بكسر الحاء، وهي: أصول النبات والعشب)[1].

(حميل السيل): قَالَ الْأَصْمَعِي: (الْحميل مَا حمله السَّيْل من كل شَيْء)[2].

(يطفح): يفيض.

الوجه الثاني: في معنى البيتين:

ينصح المصنف باعتقاد أن الله عَزَّوَجَلَّ يخرج بفضله بعض المعذبين بالنار لما اقترفوه من المعاصي التي هي دون الشرك، وأنهم يلقون في نهر الحياة في الجنة فيحيون كما تحيا الحبة في جانب السيل، وهذا الذي ذكره منتزع من قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقول الله** عَزَّوَجَلَّ: **أخرجوا من كان في قلبه مثقال حَبة من خردل من إيمان، فيُخرَجُون منها قد**

(١) فتح الباري لابن رجب (١/ ٩٥).
(٢) غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام (١/ ٧١).

اسوَدُّوا، فيُلْقَوْن في نهر الحيا أو الحياةِ، فينبُتُون كما تنبُتُ الحِبَّة في حميل السيل، ألم تر أنها تّخرج صفراء ملتوية»[١].

قال ابن رجب: (وشبه نبات الخارجين من النار إذا ألقوا في نهر الحيا، أو الحياة بنبات هذه الحبة لمعنيين:

أحدهما: سرعة نباتها.

والثاني: أنها صفراء ملتوية، ثم تستوي وتحسن، فكذلك ينبت من يخرج من النار بهذا الماء نباتًا ضعيفًا، ثم يقوى ويكمل نباته ويحسن خلقه، وقد جعل الله نبات أجساد بني آدم كنبات الأرض، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾ [نوح:١٧]، وحياتهم من الماء، فنشأتهم الأولى في بطون أمهاتهم من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب، ونشأتهم الثانية من قبورهم من الماء الذي ينزل من تحت العرش، فينبتون فيه كنبات البقل حتى تتكامل أجسادهم، ونبات من يدخل النار ثم يخرج منها من ماء نهر الحياة، أو الحيا)[٢].

وهذ الحديث أحد الأدلة على أن من دخل النار من عصاة الموحدين فإنه يخرج منها بفضل الله تعالى، وبذا قال أهل السنة والجماعة خلافًا للمعتزلة والخوارج.



(١) رواه البخاري (٢٢).
(٢) فتح الباري (١/ ٩٦).

وإن رسـولَ الله للخلق شافـعٌ   وقل في عذابِ القبر حقٌّ مُوَضَّـحُ

الكلام عليه من وجهين:

✍ الوجه الأول: في شرح بعض ألفاظه:

(شافع): اسم فاعل من شفع، (والشفاعة لغة: اسم من شفع يشفع، إذا جعل الشيء اثنين، والشفع ضد الوتر، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾ [الفجر:٣].

واصطلاحًا: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة)(١).

(موضح): مبيَّن، وبيانه جاء في الوحيين.

✍ الوجه الثاني: في معنى البيت:

يوصي المصنف في هذا البيت باعتقاد ما عليه أهل السنة من الإيمان في مسألتين:

الأولى: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشفع لأهل المحشر يوم القيامة، ومراده بهذا الشفاعة العظمى بدليل قوله: (للخلق)، و فيها يشفع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أهل الموقف في أن يقضى بينهم.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب مالا يطيقون، ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، فيأتون**

(١) القول المفيد (١/ ٣٣٠).

آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيقولون له: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة، فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة، فعصيته نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحًا فيقولون: يا نوح، إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبدًا شكورًا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي عَزَّوَجَلَّ قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبي الله، وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى، فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، فضلك الله برسالته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفسًا لم أومر بقتلها نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وكلمت الناس بالمهد صبيًا، اشفع لنا، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى: إن ربي قد غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله قط، ولن يغضب بعده مثله، ولم

يذكر ذنبًا نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فيأتون محمدًا** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فيقولون: يا محمد، أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق، فآتي تحت العرش، فأقع ساجدًا لربي** عَزَّ وَجَلَّ، **ثم يفتح الله علي من محامده، وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا رب أمتي يا رب، فيقال يا محمد، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، ثم قال: والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير، أو كما بين مكة وبصرى»**[1].

هذه الشفاعة التي أشار إليها المصنف، وهي من الشفاعات الثلاث الخاصة به صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يشركه فيها غيره، وإتمامًا للفائدة، سأذكر سائر الشفاعات الخاصة، ثم أذكر الشفاعات العامة.

أولًا: سائر الشفاعات الخاصة:

١- شفاعته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأهل الجنة بأن يدخلوها:

وقد دل على هذه الشفاعة ما أخرج مسلم عن أبي هريرة، وحذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنهما قالا: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يجمع الله** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **النَّاس، فَيقوم الْمُؤْمِنُونَ حَتَّى تزلف لَهُم الْجنَّة، فَيَأْتُونَ آدم، فَيَقُولُونَ: يَا أَبَانَا، استفتح لنا الْجنَّة، فَيَقُول: وَهل**

(١) رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤).

أخرجكم من الْجنَّة إِلَّا خَطِيئَة أبيكم؟ لست بِصَاحِب ذَلِك، اذْهَبُوا إِلَى ابْنِي إِبْرَاهِيم خَلِيل الله، قَالَ: فَيَقُول إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: **لست بِصَاحِب ذَلِك، إِنَّمَا كنت خَلِيلًا من وَرَاء وَرَاء، اعمدوا إِلَى مُوسَى الَّذِي كَلمه الله تكليمًا، فَيَأْتُونَ مُوسَى** عَلَيْهِ السَّلَامُ، **فَيَقُول: لست بِصَاحِب ذَلِك، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى كلمة الله وروحه، فَيَقُول عِيسَى** عَلَيْهِ السَّلَامُ: **لست بِصَاحِب ذَلِك، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، **فَيقوم، فَيُؤذن لَهُ...»**(١).

٢- شفاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **في عمه أبي طالب:**

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شفع لعمه أبي طالب، فخفف الله عنه من العذاب، فقد قال العباس بن عبدالمطلب للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أغنيت عَن عمك، فَإِنَّهُ كَانَ يحوطك ويغضب لَك؟ قَالَ: «**نعم، هُوَ فِي ضحضاحٍ من نارٍ، وَلَوْلَا أَنا لَكَانَ فِي الدَّرك الْأَسْفَل من النَّار**»(٢).

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (وهذه مستثناة من قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه:١٠٩]، وذلك لما كان لأبي طالب من نصرة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودفاع عنه، وهو لم يخرج من النار، لكن خفف عنه حتى صار -والعياذ بالله- في ضحضاح من نار، وعليه نعلان منها يغلي منهما دماغه، وهذه الشفاعة خاصة بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا أحد يشفع في كافر أبدًا إلا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومع ذلك لم تقبل الشفاعة كاملة، وإنما هي تخفيف فقط)(٣).

---

(١) رواه مسلم (١٩٥).

(٢) رواه البخاري (٦٢٠٨)، ومسلم (٢٠٩).

(٣) القول المفيد (١/ ٣٣٣).

ثانيًا: الشفاعات العامة: وهي (شفاعات يشركه فيها غيره من الأنبياء والصالحين، لكن ما له فيها أفضل مما لغيره، فإنه ﷺ أفضل الخلق، وأكرمهم على ربه عَزَّوَجَلَّ)[١].

١- الشفاعة فيمن استحقوا دخول النار ألا يدخلوها:

قال الشيخ صالح آل الشيخ: (وهذه قد تواردت عليها أقوال أهل العلم، وقد قال ابن القيم: «هذا النوع لم أقف إلى الآن على حديث يدل عليه، وأكثر الأحاديث صريحة في أن الشفاعة في أهل التوحيد من أرباب الكبائر إنما تكون بعد دخولهم النار، وأما أن يشفع فيهم قبل الدخول فلم أظفر فيه بنص».

وقد يستدل لهذا النوع من الشفاعة بقوله ﷺ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**». فأثبت شفاعة لأهل الكبائر، ومعلوم أن أهل الكبائر يشمل من استحق النار ممن دخل، وممن لم يدخل)[٢].

وقال الشيخ ابن عثيمين: (وهـذه قد يستدل لها بقول الرسول ﷺ: «**ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيئًا؛ إلا شفعهم الله فيه**»، فإن هذه شفاعة قبل أن يدخل النار، فيشفعهم الله في ذلك)[٣].

٢- الشفاعة فيمن دخلوا النار من الموحدين أن يخرجوا منها:

(١) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١/ ٢٦٧).
(٢) شرح الواسطية (٢/ ٢٨٥).
(٣) القول المفيد (١/ ٣٣٤).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (إن أحاديث الشفاعة في أهل الكبائر ثابتة متواترة عن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد اتفق عليها السلف من الصحابة وتابعيهم بإحسان وأئمة المسلمين)[١].

ومن ذلك ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَيَقُولُ اللهُ** عَزَّ وَجَلَّ: **شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهَرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: نَهَرُ الْحَيَاةِ...**»[٢].

٣- (شفاعته صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لقوم من المؤمنين في زيادة الثواب، ورفعة الدرجات.

وهذا قد يستدل عليه بدعاء النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي سلمة، وقوله: «**اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين**»)[٣].

قال شيخ الإسلام: (شفاعته للمؤمنين يوم القيامة في زيادة الثواب ورفع الدرجات متفق عليها بين المسلمين)[٤].

الثانية: أن عذاب القبر حق:

وسأتحدث حوله من خلال ما يلي:

أولًا: المراد بعذاب القبر ونعيمه:

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٠٩).

(٢) رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (٣٠٢).

(٣) تهذيب السنن المطبوع مع عون المعبود (١٣/ ٦).

(٤) قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (١١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (ومما ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ[١]، فكل من مات وهو مستحق للعذاب نال نصيبه منه قُبر أو لم يقبر، فلو أكلته السباع، أو أحرق حتى صار رمادًا، أو نُسف في الهواء، أو صُلب، أو غرِق في البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور)[٢].

ومثل هذا يقال في نعيم القبر.

ثانيًا: في ذكر الأدلة على عذاب القبر ونعيمه:

قال الله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۖ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [غافر:٤٦].

قال السمعاني: (أَكثر الْمُفَسّرين أَن هَذَا فِي الْقَبْر)[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وهذا إخبار عن فرعون وقومه أنه حاق بهم سوء العذاب في البرزخ، وأنهم في القيامة يدخلون أشد العذاب، وهذه الآية أحد ما استدل به العلماء على عذاب البرزخ)[٤].

---

(١) البرزخ في اللغة: الحاجز بين الشيئين، قال الله تعالى: ﴿ مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ٢٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾.

قال البغوي: (مرجَ الْبَحْرَيْنِ، الْعَذْبَ وَالْمَالِحَ أَرْسَلَهُمَا وَخَلَّاهُمَا يَلْتَقِيانِ. بَيْنَهُما بَرْزَخٌ، حَاجِزٌ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، لَا يَبْغِيانِ، لَا يَخْتَلِطَانِ، وَلَا يَتَغَيَّرَانِ وَلَا يَبْغِي أَحَدُهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ).

والبرزخ في الشرع: الحياة ما بين الموت إلى البعث.

قال الله تعالى: ﴿ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴾.

قال ابن زيد: (البرزخ ما بين الموت إلى البعث).

(٢) الروح (١/ ١٦٩).

(٣) تفسير السمعاني (٥/ ٢٣).

(٤) مجموع الفتاوى (٢/ ٢٨١).

وقال: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة:١٠١].

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (إن الله أخبر أنه يعذِّب هؤلاء الذين مرَدوا على النفاق مرتين، ولم يضع لنا دليلًا يوصل به إلى علم صفة ذينك العذابين...، غير أن في قوله جل ثناؤه: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ دلالة على أن العذاب في المرَّتين كلتيهما قبل دخولهم النار، والأغلب من إحدى المرتين أنها في القبر)[1].

وعَن زيد بن ثَابت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (بيْنَمَا النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَائِط لبني النجار على بغلة لَهُ وَنحن مَعَه إِذْ حادت بِهِ، فَكَادَتْ تلقيه، وَإِذا أقبر سِتَّة أَو خَمْسَة أَو أَرْبَعَة، فَقَالَ: **«من يعرف أَصْحَاب هَذِه الأقبر؟»** فَقَالَ رجل أَنا. فَقَالَ: **«مَتى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟»** قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِشْرَاك. فَقَالَ: **«إِن هَذِه الْأمة تبتلى فِي قبورها فلولا أَن لَا تدافنوا لَدَعَوْت الله أَن يسمعكم من عَذَاب الْقَبْر الَّذِي أسمع مِنْهُ»**)[2].

وعَن ابن عَبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أَن رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مر على قبرين فَقَالَ: **«إِنَّهُمَا ليعذبان، وَمَا يعذبان فِي كَبِير، أما أَحدهمَا فَكَانَ لَا يستنزه من الْبَوْل، وَأما الآخر فَكَانَ يمشي بالنميمة»**، ثمَّ أَخذ جَرِيدَة رطبَة، فَشَقهَا باثنتين، فَجعل على

(١) تفسير الطبري (١٤/ ٤٤٥).
(٢) رواه مسلم (٢٨٦٧).

كل قبر وَاحِدَة، فَقَالُوا: يَا رَسُول الله، لم فعلت هَذَا؟ قَالَ: «**لَعَلَّه يُخَفف عَنْهُمَا مَا لم ييبسا**»(١).

وعن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: أنه كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات**»(٢).

عن البراء بن عازب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: خرجنا مع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولَمَّا يُلحد، فجلس رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وجلسنا حوله، كأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكُت في الأرض، فرفع رأسه فقال: «**استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثًا**»، ثم قال: «**إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء، بيضُ الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كَفن من أكفان الجنة، وحَنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت**

---

(١) رواه البخاري (٦٠٥٢)، ومسلم (٢٩٢)، قال ابن رجب في (أهوال القبور) (٥٠): (وقد ذكر بعضهم السر في تخصيص البول والنميمة والغيبة بعذاب القبر، وهو أن القبر أول منازل الآخرة، وفيه أنموذج ما يقع في يوم القيامة من العقاب والثواب.
والمعاصي التي يعاقب عليها يوم القيامة نوعان: حق الله، وحق لعباده، وأول ما يقضي فيه يوم القيامة من حقوق الله الصلاة، ومن حقوق العباد الدماء.
وأما البرزخ فقضي فيه في مقدمات هذين الحقين ووسائلها، فمقدمة الصلاة الطهارة من الحدث والخبث، ومقدمة الدماء النميمة الوقيعة في الأعراض، وهما أيسر أنواع الأذى، فيبدأ في البرزخ بالمحاسبة والعقاب عليهما).
(٢) رواه مسلم (٥٩٠).

عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِي السِّقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحَنوط، ويخرج منها كأطيبِ نفحةِ مسكٍ وُجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها، فلا يمرون - يعني بها -على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيب؟ فيقولون: فلانُ بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم فيشيِّعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها، حتى يُنتهَى بها إلى السماء السابعة، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى، قال: فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولون له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولون له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به، وصدقت، فينادي مناد من السماء: أن قد صدق، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة، قال: فيأتيه من رَوحها، وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيبُ الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهُك الوجهُ يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي، قال: وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المُسُوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم

يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتُفرَّق في جسده، فينتزعها كما يُنتزَع السَّفُّود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طَرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى يُنتهى به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له»، ثم قرأ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، «فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحًا»، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، «فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك، فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء: أن كذب عبدي، فافرِشوا له من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار، فيأتيه حرها وسَمومها، ويُضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءُك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة»[١].

---

(١) رواه أحمد (١٨٥٥٧).

ثالثًا: صور عذاب القبر ونعيمه:

وهي ثلاث صور، اتفق أهل السنة على صورتين منها، واختلفوا في واحدة، وبيان ذلك في كلام شيخ الإسلام التالي، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (العذاب على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين، كما يكون للروح منفردة عن البدن.

وهل يكون العذاب والنعيم للبدن دون الروح؟

هذا فيه قولان مشهوران لأهل الحديث والسنة...، أثبت ذلك طائفة منهم، وأنكره أكثرهم)[(١)].



(١) حكم أهل القبور وعذابهم ونعيمهم (٣٤-٣٦).

ولا تُكْفِرَنْ أهلَ الصلاةِ وإنْ عَصَوا فكُلُّهُمُ يَعْصِي وذُو العرشِ يَصْفَحُ

ولا تَعْتَقِدْ رأيَ الخوارجِ إنَّهُ مقالٌ لِمَنْ يَهْواهُ يُرْدي ويَفْضَحُ

الكلام عليهما من وجوه:

الوجه الأول: في شرح بعض ألفاظهما:

(لا تكفرن): الكفر لغة: الستر والتغطية، وقد سمَّت العرب الليل كافرًا؛ لأنه يغطي كل شيء، وسمَّت الزراع كافرًا؛ لأنه يغطي الحب، وهو شرعًا: ضد الإيمان.

(ذو العرش): صاحب العرش، وهو الله جَلَّجَلَالُهُ.

(يصفح): يعرض عن ذنبه.

(الخوارج): (هم الشراة الأنجاس الأرجاس، ومن كان على مذهبهم من سائر الخوارج، يتوارثون هذا المذهب قديمًا وحديثًا، ويخرجون على الأئمة والأمراء، ويستحلون قتل المسلمين، فأول قرن طلع منهم على عهد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هو رجل طعن على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو يقسم الغنائم، فقال: اعدل يا محمد، فما أراك تعدل، فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ويلك، فمن يعدل إذا لم أكن أعدل؟!**». فأراد عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قتله، فمنعه النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قتله وأخبر: «**أن هذا وأصحابًا له يحقر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، يمرقون من الدين**». وأمر في غير حديث بقتالهم، وبين فضل من قتلهم أو قتلوه، ثم إنهم بعد ذلك خرجوا من بلدان شتى، واجتمعوا وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى قدموا المدينة، فقتلوا عثمان

ابن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد اجتهد أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ممن كان بالمدينة في أن لا يقتل عثمان، فما أطاقوا على ذلك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ثم خرجوا بعد ذلك على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولم يرضوا لحكمه، وأظهروا قولهم وقالوا: لا حكم إلا لله. فقال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كلمة حق أرادوا بها الباطل. فقاتلهم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فأكرمه الله تعالى بقتلهم، وأخبر عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بفضل من قتلهم أو قتلوه، وقاتل معه الصحابة، فصار سيف علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الخوارج سيف حق إلى أن تقوم الساعة)[1].

(والخوارج هم أول من كفر المسلمين بالذنوب، ويكفرون من خالفهم في بدعتهم ويستحلون دمه وماله، وهذه حال أهل البدع يبتدعون بدعة، ويكفرون من خالفهم في بدعتهم، وأهل السنة والجماعة يتبعون الكتاب والسنة، ويطيعون الله ورسوله، فيتبعون الحق، ويرحمون الخلق)[2].

(يُردي): يُهلك.

(يفضح): يكشف مساويه.

✍ الوجه الثاني: في بيان معنى البيت:

ينصح المصنف بعدم تكفير المسلمين بالذنوب غير المكفرة مهما كبرت، ويحذر من مذهب الخوارج الذين يعتقدون أن فاعل الكبيرة كافر في الدنيا مخلد في النار في الآخرة، فإنَّ معتقدهم هذا يهلك صاحبه ويفضحه.

---

(١) الشريعة (١/ ٣٢٧).

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام (٥/ ١٩٩).

وقد جاءت الأدلة في بيان عدم كفر صاحب الكبيرة، وأكتفي منها بما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [التحريم:٨].

فالله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ في هذه الآية يأمر بالتوبة، والتوبة تكون من الذنوب وفيها الصغير والكبير وقد قال في مطلعها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وهذا يدل على أن المذنبين غير كفار.

٢- ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ﴾ [الحجرات:٩].

الاقتتال من الكبائر، ومع ذلك نعت الله تعالى المقتتلين بالإيمان، فدل هذا على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر.

٣- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ [البقرة:١٧٨].

فجعل الله تعالى القاتل أخًا لولي المقتول، وهذا يدل على عدم كفره رغم قتله، والقتل كبيرة.

٤- قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»(١).

فلو كان أهل الكبائر كفارًا لما نفعتهم الشفاعة، قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨].



(١) رواه الترمذي (٢٤٥٣).



تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

ولا تكُ مُرْجِيًّا لَعُوبًا بدينه ... ألا إنَّما المُرجِيُّ بالدينِ يمزحُ
وقل إنما الإيمانُ قولٌ ونيَّةٌ ... وفِعْلٌ على قولِ النَّبيِّ مُصَرَّحُ
ويَنْقصُ طوْرًا بالمعاصي وتارة ... بطاعته ينمي وفي الوزنِ يَرْجَحُ

الكلام عليها من وجهين:

الوجه الأول: في شرح بعض ألفاظها:

(مرجيا): نسبة إلى المرجئة، وسموا بهذا؛ لإرجائهم، أي: تأخيرهم العمل عن الإيمان، وهم أنواع، سيأتي ذكر بعضها.

(لعوب): كثير اللعب.

(يمزح): من المزح، وهو ضد الجد.

(مصرَّح): مُظهَرُ، وقد أظهرت السنة كون الإيمان قول وعمل ونية، وسيأتي ذكر بعض ما يفيد ذلك.

(طورًا): مرة.

(ينمي): يزيد.

(يرجح): يثقل.

الوجه الثاني: في بيان معنى الأبيات الثلاثة:

هذه الأبيات اشتملت على ما يلي:

أولًا: تحذير المصنف من معتقد المرجئة، وهم أصناف، أقتصر منها على ما يلي:

١- الكرامية، وقد قالوا: إن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط.

وهذا قولٌ ظاهر الفساد، لما تضمنه من كون المنافقين مؤمنين، لأنهم أقروا بألسنتهم.

٢- الجهمية: وقد قالوا: إن الإيمان هو معرفة القلب.

وهذا ظاهر الفساد أيضًا، إذ لازمه أن فرعون وأبا طالب كانا مؤمنين؛ لأن فرعون كان يعرف صدق موسى، قال تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء:١٠٢]، وأبا طالب كان يعرف صدق محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه قال:

ولقد علمتُ بأنَّ دينَ محمدٍ ... مِنْ خيرِ أديانِ البريةِ دِينا

لولا الملامةُ أو حذار مسبةٍ ... لوجدتَني سمحًا بذاكَ مبينا

٣- مرجئة الفقهاء: وقد قالوا: إنه قول باللسان، وتصديق بالجنان.

ويدل على فساد قولهم أدلة دخول العمل في مسمى الإيمان، وسيأتي ذكر طرف منها.

وقد بين المصنف أن (المرجي بالدين يمزح) وهذا ظاهر جدًا لا سيما على قول الكرامية والجهمية.

ثانيًا: الحث على اعتقاد ما عليه أهل السنة والجماعة في الإيمان، وهو أنه قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان.

١- الأدلة على أن الإيمان قول، وعمل، واعتقاد.

أ - قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات:١٥].

(فانتفاء الشك والريب من الأعمال الباطنة، والجهاد من الأعمال الظاهرة، فدل على أن الكل إيمان)[1].

ب- قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣].

قال المفسرون: المراد: صلاتكم، وتسميته الصلاة إيمانًا، وهي عمل، دل على دخول الأعمال في الإيمان.

جـ- قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**»[2].

فلا إله إلا الله قول، وإماطة الأذى من أعمال الجوارح، والحياء من أعمال القلوب، وكلها جعلها النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الإيمان.

د - وَقَالَ عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ لوفد عبد الْقَيْس: «**هَل تَدْرُونَ مَا الْإِيمَان بِاللهِ؟**» قَالُوا: الله وَرَسُوله أعلم. قَالَ: «**شَهَادَة أَن لَا إِلَه إِلَّا الله، وإقام الصَّلَاة، وإيتاء الزَّكَاة، وَأَن تؤدوا خمسًا من الْمغنم**»[3].

فتفسير النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإيمان بالقول والأعمال دليل على دخولها فيه.

والمصنف ذكر هذا في قوله: (إنما الإيمانُ قولٌ) باللسان والقلب (ونيَّـةٌ) عمل بالقلب (وفِعْلٌ) بالجوارح.

---

(١) الإيمان والرد على أهل البدع للشيخ عبدالرحمن بن حسن (٣).
(٢) رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).
(٣) رواه البخاري (٨٧)، ومسلم (١٧).

قال شيخ الإسلام: (ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك)[(١)].

قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (والمشهور عن السلف وأهل الحديث أن الإيمان: قول وعمل ونية، وأن الأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان. وحكى الشافعي على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم)[(٢)].

٢- الأدلة على أنه يزيد وينقص:

أ- أدلة الزيادة: قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال:٢].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [آل عمران:١٧٣].

وهاتان صريحتان في زيادة الإيمان.

ب- أدلة النقصان: يستدل للنقصان بالأدلة السابقة؛ لأن الزيادة لا تكون إلا عن نقص.

قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: (لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحدًا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص)[(٣)].



(١) الإيمان الكبير (١٣٨).
(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ١٠٤).
(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٩٣).

ودعْ عنْكَ آراءَ الرجالِ وقولَهم   فقولُ رسولِ الله أولى وأشرحُ

الكلام عليه من وجهين:

الأول: في شرح بعض ألفاظه:

(دع): اترك.

(آراء): جمع رأي، وهو: ما يراه الإنسان في الأمر.

(أشرح): أبين.

الثاني: في بيان معنى البيت:

ينصح المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في هذا البيت بترك اعتماد الرأي، والأخذ بما جاء عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن فيه الهدى والبيان.

والرأي الذي حذر المصنف منه هو الرأي الذي لم يعتمد فيه على دليل، وأما الرأي الذي كان عن نظر في الأدلة فإنه محمود غير مذموم، قال المهلب، وغيره: (إذا كان الرأى والقياس على أصل من كتاب الله وسنة رسول الله أو إجماع الأمة فهو محمود، وهو الاجتهاد والاستنباط الذى أباحه الله للعلماء، وأما الرأى المذموم والقياس المتكلف المنهي عنه فهو ما لم يكن على هذه الأصول؛ لأن ذلك ظن ونزغ من الشيطان)[١].

وقد ذم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعتماد هذا النوع من الرأي، وبين أن ذلك من فعل الجهال، فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا – قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن الله لا ينزع العلم بعد أن أعطاكموه انتزاعا، ولكن ينتزعه منهم مع**

---

(١) شرح ابن بطال للبخاري (١٠/ ٣٥١).

قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون»[١].

وبذا جاءت الآثار عن السلف الكرام، فعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (أصبح أهل الرأي أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يعوها، وتفلتت منهم أن يرووها، فاستبقوها بالرأي)[٢].

وقال الأوزاعي: (عليك بالأثر، وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي، وأنت على طريق مستقيم)[٣].

وقال الشعبي: (إنما هلك من كان قبلكم حين تشعبت بهم السبل، وحادوا عن الطريق، فتركوا الآثار، وقالوا في الدين برأيهم، فضلوا وأضلوا)[٤].

و(اختلف العلماء في الرأي المقصود إليه بالذم والعيب في هذه الآثار المذكورة في هذا الباب عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعن أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وعن التابعين لهم بإحسان، فقالت طائفة: الرأي المذموم هو البدع المخالفة للسنن في الاعتقاد، كرأي جهم، وسائر مذاهب أهل الكلام؛ لأنهم قوم استعملوا قياسهم وآراءهم في رد الأحاديث، فقالوا: لا يجوز أن يرى الله عَزَّوَجَلَّ في القيامة؛

(١) رواه البخاري (٧٣٠٧)، ومسلم (٢٦٧٣).
(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠٤١).
(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠٧١).
(٤) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠٥٠).

لأنه تعالى يقول: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ ﴾ [الأنعام:١٠٣]، فردوا قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنكم ترون ربكم يوم القيامة**». وتأولوا في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة:٢٣]، تأويلًا لا يعرفه أهل اللسان، ولا أهل الأثر، وقالوا: لا يجوز أن يسأل الميت في قبره لقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ ﴾ [غافر:١١]، فردوا الأحاديث المتواترة في عذاب القبر وفتنته، وردوا الأحاديث في الشفاعة على تواترها، وقالوا: لن يخرج من النار من فيها. وقالوا: لا نعرف حوضًا ولا ميزانًا، ولا نعقل ما هذا، وردوا السنن في ذلك كله برأيهم وقياسهم إلى أشياء يطول ذكرها من كلامهم في صفات الباري تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وقالوا: علم الباري محدث في حين حدوث المعلوم؛ لأنه لا يقع علمه إلا على معلوم فرارًا من قدم العالم بزعمهم، فلهذا قال أكثر أهل العلم: إن الرأي المذموم المعيب المهجور الذي لا يحل النظر فيه ولا الاشتغال به هو الرأي المبتدع، وشبهه من ضروب البدع.

وقال آخرون، وهم جمهور أهل العلم: الرأي المذموم في هذه الآثار عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن أصحابه والتابعين هو القول في أحكام شرائع الدين بالاستحسان والظنون، والاشتغال بحفظ المعضلات والأغلوطات، ورد الفروع والنوازل بعضها على بعض قياسًا دون ردها على أصولها، والنظر في عللها واعتبارها، فاستعمل فيها الرأي قبل أن تنزل وفرعت وشققت قبل أن تقع، وتكلم فيها قبل أن تكون بالرأي المضارع للظن، قالوا: وفي الاشتغال

بهذا والاستغراق فيه تعطيل السنن، والبعث على حملها وترك الوقوف على ما يلزم الوقوف عليه منها ومن كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ومعانيه)[١].

ويبدو أن المصنف يريد المعنى الأول، فقد قال ابن عبد البر: (قال أبو بكر بن أبي داود: أهل الرأي هم أهل البدع، وهو القائل في قصيدته:

ودعْ عنْكَ آراءَ الرجالِ وقولَهم ... فقولُ رسولِ اللهِ أزكى وأشرحُ)[٢]



(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٢١٩-٢٢٠).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٢١١).

ولا تكُ من قومٍ تلهَّو بدينهم فتطعنَ في أهل الحديث وتقدحُ

الكلام عليه من وجهين:

الوجه الأول: في شرح بعض ألفاظه:

(تلهوا بدينهم): من اللهو، وهو: اللعب، يقال: لهوت بالشيء ألهو به لهوًا وتلهيت به إذا لعبت به.

(تطعن): تسب وتشتم.

(تقدح): تعيب.

الوجه الثاني: في بيان معنى البيت:

يحذر المصنف من الوقيعة في أهل الحديث الذي هو من شأن المبتدعة الذين اتخذوا دينهم لهوًا ولعبًا، وطعنوا في أهل الحديث؛ لما رووه عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما يخالف بدعهم وأهواءهم، ويبين ضلالهم.

وليعلم أن الطعن في أهل الحديث إن كان راجعًا لما حملوه من علم فهو طعن في الدين وردة عنه.

قال ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن كان الاستهزاء بالعلم الشرعي، أو بالعلماء ؛لأجله، فلا شك أن ذلك ردة عن الإسلام؛ لأنه تنقص لما عظمه الله تعالى، واستخفاف به، وفي ضمن ذلك احتقاره والتكذيب به، أما إن كان الاستهزاء بالعلماء يرجع إلى أمر آخر، كالملابس، أو حرص بعضهم على الدنيا، أو اعتيادهم خلاف ما عليه الناس من العوائد التي لا تعلق بالشرع، أو لما يشبه

ذلك، فهذا وأشباهه لا يكون ردة عن الإسلام؛ لأنه لا يرجع إلى الدين و إنما يرجع لأمور أخرى)(١).

والذي ينبغي للمسلم تجاه أهل الحديث هو محبتهم والدعاء لهم والذب عنهم؛ لما بذلوه من جهد كبير في حفظ سنة النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد أحسن من قال:

ولو لم يقمْ أهلُ الحديثِ بدينِنا	فمنْ كان يَروي علَمه ويفيدُ
هم ورثوا علمَ النبوةِ واحتَوَوا	منَ الفضلِ ما عنه الأنامُ رقودُ
وهم كمصابيحِ الدُّجى يُهتدى بهم	وما لهم بعدَ المماتِ خمودُ



(١) تعليقه على فتح المجيد (٣٨٦).

إذا ما اعتقدتَ الدهرَ يا صاحِ هذهِ فأنت على خير تبيتُ وتُصبِـحُ

شرحه من وجهين:

✍ الوجه الأول: في شرح بعض ألفاظه:

(اعتقدت): الاعتقاد مأخوذ من العقد، وهو ربط الشيء؛ والعقيدة: الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده.

(الدهرَ): طيلة عمرك.

✍ الوجه الثاني: في معنى البيت:

يبين المصنف في هذا البيت أن من اعتقد هذا المعتقد الذي نقله في كتابه، فإنه يورثه الحال الطيبة في جميع أوقاته.

وهذا صحيح؛ إذ المعتقد الصحيح دافع لفعل الخيرات، ومانع من فعل المحرمات، فمن اعتقد مثلًا رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة فإن هذا يؤثر فيه الحرص على الطاعات، والكف عن المحرمات؛ ليحصل هذا النعيم، وقد وعد الرب الكريم عباده الصالحين بالحياة الطيبة، فقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل:٩٧].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في تفسير قوله سبحانه: ﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾: (وذلك بطمأنينة قلبه، وسكون نفسه، وعدم التفاته لما يشوش عليه قلبه، ويرزقه الله رزقًا حلالًا طيبًا من حيث لا يحتسب)[1].

هذا ما تمت كتابته على المنظومة الحائية، والله أسأل أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وسببًا لدخول جنة النعيم، إنه الجواد الكريم، وصلى الله على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) تفسير السعدي (٤٤٨).


المحتويات


تحميل كتب و رسائل علمية
قناة عامة
معلومات
t.me/tahmilkutubwarosaililmiyah
رابط الدعوة
الإشعارات
معطّلة

المحتويات


تم بحمد الله